روايات مصرية للجيب

مغامرات س

8

حسناء بروكلين

Looloo
www.dvd4arab.com

مقدمة يمكنك اعتبارها خاتمة

(هيئته مثالية بالنسبة لرجل انتهازى ، ضخم يملك كرشًا كبيرًا ، جبهته عريضة ونصف أصلع ، الشعر الغزير يظهر جليًا بداية من صدره ، ويبدو واضحًا بكثافة فى أذنيه ، وتفوح منه دائمًا رائحة عرق كريهة !)

★ ★ ★

(ـ إنك تطلبين منى الاحتفاظ بملف لا أدرى محتوياته لبضعة أيام ، أهذا هو الموقف بالفعل ؟!

نظرت إليه وأنا أغالب الرائحة الكريهة التى تملأ أنفى :

ـ رغم إحساسى الدفين بأنى قد أندم على هذا !)

★ ★ ★

(إن السيد (حسين مرشدى) يتمتع بقدر وافر من الذكاء ، جعله يفض محتويات المظروف الذى أعطيتيه له فور مغادرتك إياه ، ولم يكذب بعدها خبرًا ، لقد جاء إلينا بعدها بساعة واحدة ليسلمنا الملف ، ولأنه يتمتع بقدر وافر من

التواضع لم يطلب أكثر من ألفى جنيه فقط فى المقابل ، أى أنه ساعدنى فى توفير مبلغ ٩٩٨ ألف جنيه مرة واحدة ..)

★ ★ ★

طوى (حسين مرشدى) نسخة الجريدة ، ووضعها فوق المنضدة الخشبية ، قبل أن يعتدل فى جلسته داخل مقهاه الأثير بحى (السيدة زينب) ، ويسحب نفسًا طويلاً وعميقًا من النارجيلة الدسمة بجواره ، ثم إنه نفث الدخان الأبيض فى الهواء مغمغمًا بينه وبين نفسه فى أسى ، بينما عيناه شاردتان فى المجهول :

ـ كان بوسعى أن أطلب ثلاثة آلاف .. نعم ، ثلاثة آلاف من الجنيهات دفعة واحدة .. يا لى من غبى أحمق !

فوجئ مع إنهائه لعبارته بمن يجلس إلى جواره بحيث تصبح المنضدة بينهما ، وبمن يصيح به فى صوت لا يجهل صاحبه :

ـ (حسين) باشا هنا فى هذا الوقت المتأخر ؟!

نظر (حسين) إلى صديقه (عبد الفتاح) سائق سيارة الأجرة ، وقال مغالبًا ضيقه :

ـ إننا لم نتجاوز منتصف الليل بعد ..

صاح (عبدالفتاح) ضاحكًا :

ـ لم نكن نراك هنا إلا مبكرًا ، فأنت تعمل فى هذا الوقت عادة ..

زفر (حسين) وقال :

ـ لا رغبة لى فى العمل ..

غمزه (عبدالفتاح) :

ـ هل نفدت النقود التى قبضتها من أصدقائك الأثرياء قبل أيام ؟!

لم يندهش (حسين) مما سمع ، فـ (عبدالفتاح) هو من أوصله إلى مقر مجموعة شركات (البحراوى) بسيارته ، بعد أن تعطلت دراجة (حسين) البخارية لظروف العمر الافتراضى المعهودة فى الآونة الأخيرة ..

ـ ليس بعد ..

بديهى أن يعرف (عبدالفتاح) كل شىء ، فبالإضافة إلى فضوله الفطرى هو زوج شقيقة (حسين) ، ومكمن أسراره منذ كانا زميلين فى الإعدادية !

ـ بالمناسبة سمعت أن أفراد عائلة (البحراوى) قد فروا خارج البلاد وأن الأوراق التى تدينهم قد عرفت طريقها إلى النيابة العامة ..

أشار (حسين) إلى الجريدة المطوية ، وقال بعد أن قرقرت مياه النارجيلة :

ـ كنتُ أقرأ التفاصيل قبل قدومك مباشرة ..

ـ ربما كنتَ قلقًا من أن يظنوا أنك من فعلها بهم فيرسلون من ينتقم منك !

قطب (حسين) حاجبيه ، وقد ضربته الفكرة المباغتة كصاعقة ، كيف لم يفكر بذلك ؟!

ـ هه ؟!

ثم إنه هز رأسه نفيًا بقوة ، كأنه كلب ينفض قطرات المياه عن جسده المبتل :

ـ كلا ، لا أظن .. أعتقد أنهم بصلاتهم القوية يمكنهم معرفة من فعلها بهم ، ولعلهم قد توصلوا إليه الآن وانتقموا منه بالفعل ..

ـ وهل تظن إذن أن تلك الصحفية الشابة التى أتت إلى هنا لتضع الأوراق بين يديك هى من فعلها بهم وأوصل الأوراق للنيابة ؟!

ـ كلا أيضًا ، ودعنا نغلق هذا الموضوع حتى لا تصبح الليلة أسود مما هى عليه بالفعل ..

فتح (عبدالفتاح) الصندوق على المنضدة بينهما ، وأمسك بالنردين هاتفًا فى مرح وهو يهزهما فى قبضته :

ـ لنلعب إذن (عشرة طاولة) تنسيك الهم ..

أغلق (حسين) الصندوق بدوره وهو ينهض قائلاً :

ـ كلا ، لا رغبة لى ..

ثم إنه مضى متابعًا :

- ولا تنس أن تدفع الحساب !

شيعته عينا (عبدالفتاح) فى استغراب واجم حتى اختفى عند مدخل المقهى ، ثم هز الأول كتفيه مغمغمًا فى لا مبالاة :

- من الواضح أنك قد أنفقت النقود كلها يا عزيزى ، هذا شأنك دائمًا ..

أخذها (حسين مرشدى) مشيًا حتى شقته الصغيرة التى تقع خلف المقهى مباشرة ، بحيث يمكنك أن ترى الجالسين على المناضد الخارجية أمامه عبر زجاج نافذتها الجنوبية ، وبمجرد أن أغلق باب الشقة خلفه ، وقبل أن تمتد يده إلى زر الإضاءة ، شعر بلمسة على كتفه من الخلف ..

لمسة قوية وواثقة ..

استدار (حسين) فى فزع ، وكاد يصرخ؛ لكن القبضة القوية امتدت فى سرعة لتغطى فمه بإحكام ، واندفعت القبضة الأخرى لتلصق ظهره بالباب فى حركة عنيفة ، فأنّ

(حسين) أنينًا مكتومًا متألمًا ، وجاهد بعينيه المتسعتين لتمييز وجه مهاجمه فى الظلام ..

دون جدوى ..

ارتفع صوت الأنفاس اللاهثة المتبادلة ، حتى ساد الصمت التام ، وارتخت عضلات (حسين) بين يدى مهاجمه ..

- اسمعنى جيدًا أيها الفأر السمين كريه الرائحة ..

صوت أجش يصعب تمييزه ، كأن صاحبه يتعمد تغييره ..

حاول (حسين) أن يتفوه بأى شىء ، غير أن القبضة الفولاذية كانت تكممه بإحكام رهيب ..

- بإمكانى أن أقتلك الآن عقابًا لك على ما فعلته ، غير أنى لن أقتلك ..

لهث (حسين) ، ورشح العرق على وجهه ، وقد فقد أدنى أمل فى تمييز وجه محدثه ، أو فى القدرة على التملص منه ، أو حتى فى فهم ما يتحدث عنه ..

ربما كان (عبد الفتاح) - على بلاهته - محقًا فى تصوره ..

ربما كان هذا بالفعل من أرسلته عائلة (البحراوى) للانتقام بعد أن تصوروا أن (حسين) هو من وشى بهم لدى النائب العام ..

- اعتبر هذا إنذارًا أخيرًا ، لو أنك اقترفت خطأ كهذا ثانية مع (نسرين الجبالى) أو غيرها ، فربما لا أتوانى عن قتلك شر قتلة ..

كاد الذهول يوقف قلب (حسين) ، غير أنه لم يجد فرصة ليفعل ..

- هل سمعتنى جيدًا ؟!

ثم قبضة المتحدث عاجلته بلكمة مباغتة فقد على إثرها الوعى ، وخر ساقطًا كجوال البطاطس ، فى حين انفتح باب الشقة دون صوت وانغلق ..

واختفى الشبح الغارق فى الظل عند مدخل البناية المظلم؛ كأنه جوف قبر مغلق ..

وكأن الرجل الغامض لم يكن هناك من الأصل ..

وعلى باب الشقة من الخارج ، حيث اللافتة الخشبية التى تعلن عن اسم (حسين مرشدى) بخط الرقعة الردئ ، كانت هناك دائرة مرسومة باللون الأحمر على أحد حروف الاسم الثانى ..

دائرة حمراء مخيفة على الحرف الثانى من الاسم الأول ..

حرف (السين) طبعًا !

★ ★ ★

لولو الأول

عزيزتى (مروة) ..

أكتب لك بعد يومين من وصولى ، على ضوء شحيح يصدر من الأباجورة المجاورة لسريرى ، ومدينة (نيويورك) تبدو من نافذة الفندق وكأنها تستيقظ من غفوة القيلولة لتغرق فى ليل ساطع بالأضواء المبهرجة ، بينما ألوان الشفق تتلاشى خلف تمثال الحرية المطل بشعلته الحجرية على خليج (مانهاتن) من بعيد ..

لا أعرف سر شعورى الشديد بالغربة يا عزيزتى بعد أقل من ثمان وأربعين ساعة بعيدًا عن شقتنا فى (المعادى) ، ولا أعرف ما الذى جعلنى أبحث عن قلم فى قاع حقيبة السفر ، وأجلس لأدون هذه الكلمات على الأوراق المزينة بشعار الفندق الذى أقيم فيه مؤقتًا ، رغم أن الحاسب النقال الخاص بأبى مفتوح بجوارى على المنضدة القريبة ، وموصول بشبكة الإنترنت عبر تقنية اللاسلكى wi-fi ، أى إنه يمكننى ببساطة أن أستخدم لوحة المفاتيح لأبعث لك برسالة

إلكترونية تصل فى لمح البصر ، أو يمكننى حتى أن أقابلك افتراضيًا فنتحدث عبر برنامج (المسنجر) ، غير أنى راغبة عن كل هذا ، والحنين المستبد بى لشارعنا ولقاءاتنا فى (بينوز) وتسوقنا من (الجراند مول) وذهابنا إلى حفلة الظهيرة فى سينما (جالكسى) ، كل هذا يدفعنى إلى البوح عبر الحبر على الأوراق ..

لعله نوع من استدعاء للذكريات القريبة والبعيدة ، ولعل هذا هو السبب فى أننى أكتب لك أنت بالذات يا عزيزتى (مروة) ..

ربما لأنك أولى صديقاتى منذ كنا فى المدرسة الثانوية معًا يا عزيزتى ، حتى دخولنا الكلية نفسها ، وتخرجنا منها لتعملى فيها كمعيدة ، بينما هرستنى أنا مطرقة الحياة العملية بقسوة مبكرة على سنين عمرى التى تجاوزت العشرين بالكاد ، صحيح أن (رحاب) صديقتى أيضًا من الفترة نفسها تقريبًا ، لكنها أقرب منى أكثر مما يجب ، أنت تفهمين هذا الأمر بعقلك الكبير تأكيدًا ، نحتاج أحيانًا لأن نتكلم مع من يعرفون عنا أقل ، هذا ما يدفع الناس للذهاب إلى طبيب نفسى ، وما يدفع الفتاة المراهقة إلى حمل

التليفون نحو غرفتها سرًا ، وطلب رقم عشوائى لتتحدث إلى فتى مجهول عما يؤرقها فى ليلة صيفية مملة ..

لا أعلم إنك كنتِ تعلمين بخبر سفرى من الأصل يا عزيزتى ، فكل شىء تم بسرعة مباغتة ، بعد أن هربت عائلة (البحراوى) إلى هنا ، ونشرت الصحف نبأ وفاة الأستاذ (هلال رضا) ، فى حين عزفت أنا عن المشاركة فى هذا المهرجان قبل أن تنتهى القصة تمامًا ، وها أنذا هنا بحثًا عن نهاية مناسبة للفصل الأخير منها ، وفى الوقت نفسه أنا فى إجازة إعادة حسابات ..

بالأحرى فترة نقاهة ..

أحتاج إلى هذه الفترة بشدة لترتيب أوراق حياتى من جديد ، حياتى التى لم تعرف الراحة أو التقاط الأنفاس منذ كنت طفلة ، أعتقد أنك تعرفين عنى أننى لست ممن يحبون التظاهر بالاستشهاد والاضطهاد ولست ممن يذرفون الدمع على حظهم القليل فى هذه الدنيا ، بداخلى روح مقاتلة لم تظهر بعد ، وأعتقد أننى هنا كى أدفع هذه الروح للظهور على السطح مهما كلفنى ذلك ..

الحق أن علاقتى بأبى ليست على مايرام ، وعلاقتى بخطيبى ليست على ما يرام ، وعلاقتى بصديقاتى ليست على ما يرام ، وعلاقتى بالمهنة التى أعشقها ليست على ما يرام ، وعلاقتى بنفسى أيضًا ليست على ما يرام ، وليس ما يمنعنى من الانتحار إلا الوازع الدينى مع بقية من روح النضال ، تلك التى أجاهد للبحث عنها فى أعماقى حتى الجذور ..

شاهدت فى الطائرة فيلم (صوفيا كوبولا) الذى نالت عنه الأوسكار ، والذى قام ببطولته (بيل موراى) Lost in Translation ، أو (تائه فى الترجمة) ، وشعرت بالدموع تطفر من عينى وأنا أتابع قصة الممثل الذى يطارد ذكرياته فى أقصى الأرض ، والفتاة التى تجلس على حافة النافذة الزجاجية لفندق (طوكيو) ضامة ساقيها إلى صدرها وشاردة فى المجهول ، كأنها تبث شكواها إلى المدينة المزدحمة بالأسفل ، بينما المدينة منشغلة عنها بجنون السرعة الذى يدهس كل شىء فى عصرنا هذا ، شعرت أن هذه الفتاة هى أنا ، وحاولت اليوم تقليدها مع استبدال (طوكيو) بمدينة أكثر قسوة هى (نيويورك) ، لكنى شعرت بسخافة ما أفعل فعدت إلى سريرى ونمت كثيرًا ، وفور صحوى قررت الكتابة إليك .

كانت الرحلة طويلة ، وكنت أجلس وبجوارى أبى على مقعدين من مقاعد الدرجة الأولى ، والأخير قد دفن وجهه فى جريدة ، ثم فى كتاب ، ولا بأس من إغفاءة بين حين وآخر ، لقد مارس كل ما يمكن أن يبعده عن النظر مباشرة فى عينى ، كأنه يخشى مواجهتى منذ اكتشافى مؤخرًا لعلاقة عاطفية تربطه بالسيدة (ألفت همام) كان يخفيها عنى ..

أجل ، هى السيدة (ألفت) رئيسة تحرير الجريدة التى كنت أعمل فيها ، وصديقة أمى رحمها الله قبل أن تتوفى !

قد يدهشك اعترافى الصريح وقد تعودت منى على الكتمان الدائم ، لكنها الحقيقة ألقيها كحجر فى وجه الشمس ، ولست غاضبة منها أو من أبى إلى هذا الحد بعد أن قضيت وقتًا فى التفكير ، فمن حق الرجل أن يمارس حياته التى سرقتها طفولتى منه ، ومن واجبى أن أكون أقل أنانية وأن أترك له مساحة لنفسه ، غير أن الحرج الشرقى يمنعنى ويمنعه من الحديث الصريح فى أمر كهذا منذ لحظة الاكتشاف إلى الآن ..

بعد مغامرة قبو منزل عائلة (البحراوى) وقرارى المباغت بالسفر إلى الولايات ، مستغلة التأشيرة التى سافرت بها فى

مؤتمر الكلية منذ أعوام (هل ما زلت تذكرين؟!) ، والتى لا تزال سارية المفعول لحسن حظى ، وجدت أبى يعرض على مصاحبتى حيث إنه بصدد حضور مؤتمر لجراحى المخ والأعصاب فى نفس المدينة ، (نيويورك) !

لم أستطع الاعتراض رغم عدم تصديقى لحكاية المؤتمر هذه فى البداية ، غير أنه فى لحظة كتابة هذه السطور يحضر إحدى جلسات المؤتمر بالفعل ، فيما أجلس أنا فى غرفتنا المشتركة بالفندق وحدى ، مرتدية منامتى ونظارتى وعازفة عن تهذيب شعيرات رأسى القصيرة النافرة ، أخطط لأيامى التالية هاهنا ..

سألنى (هشام) فى زيارته الأخيرة لى فى المنزل وأنا أعد حقيبة السفر :

ـ هل تتصورين أن بوسعك فعل شىء حقًا ؟!

لم تكن لهجته هازئة بقدراتى إلى هذا الحد ، وكم كنت سأتفهم الأمر لو كان كذلك ، ومع ذلك فقد قلت وأنا أدعوه لتناول كوب المياه الغازية على منضدة الصالون حيث نجلس :

ـ سأسافر غدًا ، هذا كل ما أعرفه ..

رشف (هشام) من كوب المياه الغازية وقال :

- وتعودين إلينا حاملة رأس (جلال البحراوى) أو والده على رأس حربة ، أليس كذلك؟!

بدأت لهجته تهزأ بقدراتى ، وكنت متفهمة لهذا وأنا أقول فى هدوء :

- ليس بالضرورة ، يكفى دليل إدانتهما أو ...

صاح فى حنق :

- أى دليل ؟! إنهما مطلوبان للعدالة واسمهما على رأس قوائم المطلوبين ، وكل المستندات التى تدينهم متوفرة لدى السلطات ، ماذا تريدين أكثر من هذا؟!

بدا منطقى مانعًا وأنا أقول محاولة التظاهر بالثقة :

- ربما أجد ما يدفعهم للعودة أو ...

عاد يصيح والحنق يشرخ حباله الصوتية :

- كيف بالله عليك؟! هل ستخدرينهم وتنقلينهم إلى هنا فى صناديق مغلقة على طريقة رجال المخابرات السينمائية مثل ؟!

هززت كتفى قائلة وأنا أدفع بجنونه للسقوط من الحافة :

- لا تبدو فكرة حمقاء بالمناسبة !

احمرت وجنتاه المنتفختان فبدا كطفل ساخط على استعداد للانفجار كقنبلة فى أية لحظة ، ونفث مكنون صدره فى تنهيدة قبل أن يسألنى :

- وهل سيكفى الأسبوع الذى سيقضيه والدك بين المؤتمر وجلسات العلاج الطبيعى للقيام بمهمتك الجليلة هذه ؟!

قلت فى تحد ، وأنا واثقة من أن عيناىَ قد برقتا لحظتها :

- ومن قال إننى سأعود مع أبى ؟!

عاد (هشام) يصرخ كأن عقربًا صحراويًا قد لدغه فى أكثر مناطق جسمه حساسية :

- ماذا ؟! هل تريدين القول بأنك ...

هززت رأسى بالإيجاب فى بطء ، وأنا أقول كقاتل يتلذذ بتعذيب القتيل قبل ارتكاب الجريمة :

ـ أجل ، سأبقى هناك بعد عودة أبى.. وحدى !

من فرط الذهول رأيت العرق رشح على جبهة (هشام) ، وقد أخرج منديلا قماشيًا ليمسح به القطرات المتراكمة (من يستخدم المناديل القماشية حتى اليوم باستثناء خطيبي الكلاسيكى حتى الثمالة؟!) ، ويبدو أن لعابه كان جافًا وهو يسألنى لاهثًا :

ـ وأين ستقيمين هناك؟! أعنى .. كيف ستستطيعين أن .. رباه .. هذا كثير يا (نسرين) .. كثير بحق .. لا تفعلى هذا بى من فضلك ..

قلت واضعة ساقًا فوق أخرى :

ـ لست أفعل بك شيئًا يا (هشام) ، فلا تجزع ، ولدى خططى هناك فلا تقلق ..

ـ وماذا عن زواجنا ؟!

كلاسيكى .. حتى الثمالة!

ـ مؤجل لحين عودتى ، ظننت هذا واضحًا!

حاول (هشام) أن يدفع ببالون اختبار :

ـ وماذا لو طلبت منك أن تبقى ؟!

قلت فى حسم ، واضعة سن الدبوس الحاد فى غشاء البالون :

ـ سأسافر غدًا يا(هشام) ، أخبرتك أن هذا كل ما أعرفه !

هنا ران الصمت بيننا إلا من الفرقعات الواهنة لفقاعات المياه الغازية الدقيقة فى الكوب الماثل بيننا فوق المنضدة ، وكنت أهرب ببصرى ناظرة إلى الكوب وهاربة من نظرات (هشام) التى يلوح فيها مزيج متنافر من اليأس والرجاء ، كأنى أجاهد للحفاظ على عنادى حيًا ..

ـ عدينى إذن ألا يدفعك جنونك للانتحار ..

كنت أتمنى أن ينهض لحظتها وينهال بصفعة على وجهى آمرًا إياى بأن أبقى ، كنت أتمنى أن يخلع خاتم خطبتى من إصبعه ويخيرنى بينه وبين السفر ، كنت أتمنى أن يخرج مسدسه الميرى ويسدده إلى رأسى ويجبرنى على المكوث فى المنزل تحت تهديد السلاح ، لكنه بدلا من أن يفعل أيًا من ذلك همس عبارته الرومانسية فى أذنى بخوف حقيقى ، فلم أدر إلا وأنا أنهض أمامه قائلة فى جفاف :

ـ أراك عند عودتى يا عزيزى ..

هل يمكن أن أدعى يومًا بأننى أفهم نفسى ؟!

هل يمكن لأى فتاة أن تدعى ذلك يومًا يا عزيزتى (مروة) ؟!

ربما لو كان عارضنى لتماديت فى عنادى أكثر ، لكنى فى الوقت نفسه حاقدة من أنه لم يبذل جهدًا صادقًا فى معارضتى ، ومن أنه سيتركنى لمواجهة كل الأخطار المجهولة فى أرض العالم الجديد هناك وحدى ، والغريب أنه لم يعرض على مصاحبتى حتى ! غير أنه لو فعل لرفضت بإصرار ؛ لأنها قضيتى الخاصة وثأرى الشخصى ، وهى دائرة لا بداية لها ولا نهاية كما ترين!

الأدهى أننى لا أعرف حتى الآن ما الذى سأفعله بالتحديد يا عزيزتى ، لقد كنت كاذبة إلى حد ما عندما أخبرت (هشام) أن لدى خططًا لأنفذها هنا ، فى الحق أنى لا أملك خططًا ولا يحزنون ، ولا أعرف هدفًا بعينه أسعى خلفه لدى عائلة (البحراوى) هنا فى (نيويورك) التفاحة الكبيرة

كما يسميها أهلها ، وبالتحديد فى ضاحية (بروكلين) التى يفصل بينها وبين المدينة جسر كبير وشهير..

ليس فى رأسى إلا خطوط عامة لا تصلح كبداية لمغامرة أخرى من مغامراتى ، ولا كسلسلة من سلسلة تحقيقاتى الصحفية المتوقفة منذ أسابيع طويلة ..

عندما سألنى ضابط الجوازات الأشقر فى مطار (كينيدى) :

ـ ما سبب زيارتك لبلادنا يا آنسة؟!

اربد وجهى ، وتجمدت عيناى ، وتثاقل لسانى ، فأسرع أبى بالتدخل قبل أن يشك ضابط الجوازات فى كوننا إرهابيين من الشرق الأوسط ، ويأمر بتحويلنا على الفور إلى معسكر (جوانتانامو) حيث سيتم استنطاقنا كما يجب فى منطقة خارج حدود القانون :

ـ إن ابنتى صحفية يا سيدى ، وهى هنا لتشاركنى فى تغطية المؤتمر الطبى الذى أخبرتك عنه ، لكنها متعبة من السفر كثيرًا كما ترى ، بالإضافة إلى أنها مريضة قليلاً كما ستلاحظ ..

كاد أبى ينهار ويقولها : (نحن نعشق أمريكا ولا ننوى تفجير أبراجها التجارية فاتركنا نعبر من فضلك) ، لكن الرجل أعفاه من العناء ومد يده بجوازى السفر إليه فى حركة آلية عملية قائلا :

ـ إقامة سعيدة ..

ـ شكرًا ..

ومنذ غادرنا المطار داخل سيارة الأجرة الصفراء التى أقلتنا عبر شوارع (نيويورك) ، وأنا تائهة والغربة تأكلنى أكلا والأفكار تقتلنى بلا رحمة ، لم تفتنّى ناطحات السحاب ولم أنبهر بميدان الساعة الذى يركض فيه (توم كروز) وحيدًا فى فيلم (سماء الفانيليا) أو Vanilla Sky ، ولم تسكرنى أجواء الحلم الأمريكى أو الفيلم الأمريكى الذى يقابلك أينما وليت وجهك ، كنت غارقة فى همومى وأسئلتى الباحثة عن إجابة عبثًا ..

انشغل أبى بمجرد بلوغنا الفندق فى مصافحة زملائه من جراحى المخ والأعصاب الدوليين ، وانخرط معهم فى مناقشات

جانبية ولقاءات عملية وندوات ومحاضرات وخلافه مما يضمه جدول المؤتمر الحافل ، بينما عزفت أنا عن المشاركة ولم يمانع هو من جهته ، فأبى ينسى حبه لابنته فى خضم حبه لعمله ، وقد دعانى مرة واحدة لتناول الغداء فى المطعم مع المشاركين فى المؤتمر فرفضت ، ولم يلح هو من جهته ولم يكرر الدعوة ..

نمت طويلا كما أخبرتك يا عزيزتى ، وها أنا وحدى أستعد لبدء أيام لا أعرف ما تحمله فى طياتها من حدثان ، لكن !

أأنا وحدى حقًا ؟!

ومتى كان الأمر كذلك ؟!

من فرط ما تأثرت به حياتى القصيرة ، ومن فرط ما انغمست فى مغامرات كان هو بطلها الأوحد وكنت أنا مجرد قطعة من الديكور الثابت ، كأتى الدكتور (واطسون) يروى مغامرات المتحرى الأعظم (شيرلوك هولمز) ، ومن فرط ما تدخل فى حياتى ليعقدها وينقذها فى أكثر من مرة ، أصبحت

أشعر أنه لا يكون معى إلا حينما أكون وحدى ، مثلما أنا فى هذه اللحظات يا عزيزتى (مروة) ..

تعرفين قطعًا عمن أتحدث ..

إنه السيد (س) ..

ذلك الذى دخل حياتى دون استئذان ، ذلك الذى يعرف عنى كل شىء ولا أعرف عنه أى شىء ، ذلك الذى شاركنى أربع عشرة مغامرة نشرتها لى - باستثناء الأخيرة - جريدة (الأربعاء) تحت قيادة السيدة (ألفت) ، وذلك الذى دائمًا ما أكتب عنه جملتى الشهيرة: السيد الموجود بلا وجود ، والمختفى أبدًا خلف ستائر العدم السرمدية ..

أحيانًا أشعر أن الجملة متكلفة بعض الشىء ، فهل أنا على حق ؟!

النظريات التى تفسر وجود السيد (س) كثيرة ، آخرها توصلت إليه وأنا على متن الطائرة عندما بدءوا يكررون الأفلام التى يعرضونها ، فأخرجت من حقيبة يدى رواية كنت بدأتها

وأصررت على إكمالها ، وقد أوحت لى الرواية بتفسير سيكولوجى لوجود السيد (س) ؛ وهو تفسير أنيق وإن كانت الخطورة تشوبه ، ولا بأس من أن أعرضه عليك يا عزيزتى ..

إن السيد (س) لا يحدث أحدًا سواى ، ولا يتدخل فى قضايا تخص غيرى ، وهو يعرف عنى كل شىء إلى حد مفزع ، فمن خلالى يتعامل مع الآخرين ، وملخص النظرية فى ضوء هذه المعطيات البسيطة أن السيد (س) هو أنا يا (مروة) !

خذى نفسًا عميقًا واستعدى لسماع النظرية المفزعة : السيد (س) غير موجود ، وإنما هو شخصية خيالية ولدت داخلى ، وهو شخصية على النقيض منى تمامًا ؛ إذ يتصرف بشجاعة ويواجه الجميع ويحقق العدالة المفتقدة ، فهو فى النهاية ليس مجرد فتاة مغلوبة على أمرها فى مجتمع ذكورى ، وهكذا أتصل بنفسى هاتفيًا وأتحرك من خلالى لجمع الأدلة بينما تكون (نسرين) فى حالة جمود مؤقت ، وإذا حدث وهاتفنى السيد (س) مثلاً أمام أحد كما حدث أكثر من مرة ، فربما أكون قد اتفقت من قبلها مع شخص يقوم بهذا

الدور ، كما اتفقت مع المحامى (سبعاوى) فى المغامرة السابقة على أن يعطينى مظروف المستندات بنفسه ، وربما أكون قد حذرته ـ أو حتى هددته ـ من مغبة ذكر الحقيقة أمام شخصيتى الأخرى التى هى (نسرين) مثلاً !

نظرية غريبة ؟!

إنها نظرية الدكتور (جيكل) والمستر (هايد) الشهيرة ، وقد استعارها المؤلف الأمريكى (تشاك بولانيك) فى روايته نادى القتال Fight Club التى كنت أقرؤها على متن الطائرة والتى أوحت لى بالتفسير ، صحيح أنى لا أملك دليلا بالطبع على صحة النظرية أو فسادها ، لكنها تفسر الكثير من الأمور بطريقة تشعرنى بالفخر كالأبطال الخارقين ذوى الوجهين فى القصص المصورة الأمريكية التى تصدرها شركة DC comics ، كما تجعلنى أفكر جديًا فى إصدار السلسلة الروائية التى طالما تحدثنا عنها يا عزيزتى مع الصديقات ، وتجعل من عنوان السلسلة مغامرات (س) مرادفًا حتميًا لمغامرات (نسرين) !

عمومًا ، لقد ثرثرت معك كثيرًا كعادتى ، ولن أحرمك من ثرثرتى فى خطاب مقبل قريب ، لكنى سأتوقف الآن وقد أوشكت الساعة على بلوغ الثامنة مساء ، فلدى موعد مهم فى بهو الفندق !

أقرأ مزيدًا من الاستغراب فى عينيك بينما تقرئين هذه السطور ، إنها الخطوة الأولى فى خطتى غير المكتملة يا (مروة) ، فقد استخدمت شبكة الإنترنت من (مصر) لأراسل واحدًا من أشهر المتحرين الخصوصيين ـ ويسمونهم العيون الخاصة أيضًا ـ فى الولاية كلها ، من أجل أن يجمع لى أكبر قدر من المعلومات حول عائلة (البحراوى) فى (بروكلين) ، وقد حولت له عربون مقدم أتعابه بواسطة شركة western union الشهيرة ..

كنت قد نجحت فى الحصول على عنوان قصر (البحراوى) المطل على المحيط فى موقع متميز للغاية من مرتفعات (بروكلين) ؛ والذى يقدر ثمنه بعشرين مليون دولار حسب أحد مواقع التثمين ، من أحد مصادرى الصحفية فى مؤسسة

كبرى ، وأرسلته إلى المتحرى الخاص هنا منذ أكثر من أسبوع ، وأنتظر اليوم اللقاء الذى سأعرف فيه عنهم كل ما يمكن معرفته ، وعلى ضوء المعلومات يمكننى أن أحدد خطوتى القادمة ، أو أن هذا ما أرجوه على الأقل ..

أبلغى سلامى للصديقات حتى أنقاكن يا عزيزتى (مروة) ، إن كان مقدرًا لنا اللقاء مرة أخرى ..

صديقتك

نسرين

★ ★ ★

الثانى

عزيزتى (مروة) ..

لا أعلم إن كان الوقت سيسمح بأن يكون خطابى هذا طويلاً كالسابق ، فأنا أكتب على عجل من نفس الغرفة فى الفندق ، وأشعة الشمس تغمر ظهيرة (نيويورك) وتتسرب عبر النافذة لتنشر الضوء والدفء فى أوصال الغرفة وأوصالى ..

الغرفة مرتبة يا عزيزتى ، فقد قامت خدمة الغرف بعملها الصباحى كما يجب ، وهناك حقيبتان مغلقتان قائمتان على الأرضية الخشبية بين السريرين ، إحداها تحوى حاجيات أبى الذى أنهى مؤتمره بالأمس ، وهو غاضب منى حتى النفور ، وقد غادر الغرفة قبل القليل متكئًا على عكازه المعدنى إلى بهو الفندق ، والأخرى تحوى حاجياتى التى أستعد لنقلها إلى مسكنى المؤقت فى (بروكلين) بعد قليل ، فور وصول سيارة الأجرة الخاصة التى طلبتها بالهاتف !

أشعر أن القصة طويلة يا عزيزتى ، أشعر بهذا الآن فقط ، وسأحاول روايتها لك حتى تصل السيارة ..

فور أن أنهيت خطابى السابق ارتديت ملابسى على عجل ، البنطلون الجينز والبلوز المخطط والسترة الأرجوانية التى ابتعتها من روجادا (يا لى من دقيقة!) ، وحاولت تصفيف خصلات شعرى القصير النافرة ، ثم هبطت إلى البهو مستقلة المصعد الذى يتضوع بأريج الزهور ..

دارت فى رأسى خواطر كثيرة حول إتقان الأمريكان لعملهم وحول الفروق الحضارية بيننا وبينهم وحول كيفية القفز على الفجوة التى تتسع يومًا بعد يوم بين الشرق والغرب ، غير أنها لم تكن خواطر حقيقية إلى هذا الحد ، مجرد وسيلة لإرجاء الوقت والتغلب على التوتر الذى يتصاعد كلما دنوت أكثر من لحظة المواجهة مع المجهول ..

فى البهو قابلت أصنافًا مختلفة من الأجناس ، وداعبت أذنى لغات ولهجات بلا حصر ، وعندما لمحت مقعدًا وثيرًا قفزت جالسة فوقه قبل أن يسبقنى غيرى ويفعل ، متجاهلة الشاب والفتاة الأوربيين الجالسين على الأريكة المجاورة لى ، واللذين يتبادلان الغرام فى صراحة مبتذلة !

نظرت فى ساعة معصمى لأكتشف لحظتها أنها مازالت مضبوطة على توقيت (القاهرة) ، وقبل أن أشرع فى العمليات الحسابية للخروج بفارق التوقيت الصحيح فوجئت بصوت جهورى يليق بالإعلان عن فيلم رعب يرتفع بجوارى :

ـ الآنسة (نسرين) ، أليس كذلك؟!

نظرت إلى الجهة التى نبع منها السؤال بالإنجليزية ، وكدت أشهق فى فزع ..

إن الصورة مطابقة للصوت إلى حد رهيب !

الوجه الزنجى يحمل تفاصيل ضخمة لو كانت الضخامة تكفى للوصف ، عينان جاحظتان محمرتان وأنف مربع وشفتان غليظتان يتدلى من ركنهما الأيمن سيجار له رائحة خانقة ، الجسد ربعة طويل وعريض ، مغطى بمعطف طويل من دماش باهظ الثمن ، يحمل ماركة فيرساتشى التى لا تخطئها العين الخبيرة ، والكف الذى يمده نحوى يليق بطبعة قدم (جودزيلا) كما ظهرت فى الفيلم الذى يحمل الاسم نفسه :

ـ أنا (جارنر) ، المتحرى الخاص يا سيدتى ..

لم أكن رأيته من قبل ، بينما رأى هو صورتى مرفقة فى رسالة إلكترونية كأحد شروط البدء فى العمل ، لكنى تحاملت على نفسى ووقفت لأصافحه دون أن أجرؤ إلا على رسم ابتسامة مصطنعة فوق شفتى اللتين تشققتا بفعل التغيرات الطقسية وربما التوتر ، وفى النهاية نجحت فى القول بإنجليزية ركيكة :

ـ سعيدة بمقابلتك ..

ألقى (جارنر) بنظرة نفور إلى الشابين المنغمسين فى تبادل الغرام بجوارنا ، وقال :

ـ أعتقد أننا فى حاجة لبعض الخصوصية ..

أشرت إلى ركن آخر فى أقصى البهو ينهض الجالسون من على مقاعده :

ـ يمكننا أن ..

قاطعنى :

ـ أفضل أن يتم هذا خارج الفندق ، اتبعينى من فضلك ..

تبعته دونما حذر .. غادرنا باب الفندق الدوار ، وسرت خلفه فى الشارع الخالى من الزحام تحت سماء الليل .. لم نبتعد سوى بضعة مبان من مدخل الفندق حتى أشار هو إلى مدخل صغير بالسيجار المتدلى من بين إصبعيه المكتنزين ، قائلا :

ـ يمكن أن يكون هذا مكانًا آمنًا ..

نظرت فى استغراب إلى اللافتة التى تقول (نادى كوميديا) أو comedy club ، واسترجعت ما أعرفه عن هذه الأماكن من خلال الثقافة الأمريكية المنتشرة كالنار فى هشيم السموات المفتوحة ..

إنها أماكن عادية للجلوس وتناول المشروبات ، وتتميز بتقديم عروض ترفيهية قائمة على رجل يؤدى بعض الفقرات الفكاهية فيما يسمى بالكوميديا على الواقف أو الـ stand up comedy ، وهى مهنة أشبه بالمنولوجست الذى انقرض عندنا أو انكمش فى حيز تقليد أصوات الفنانين ، لو أنك من عشاق الممثل (وودى آلان) مثلى يا (مروة) فستعرفين أنه قد أدى دور رجل يحترف هذه المهنة فى فيلمه الشهير جدًا Annie Hal ، ولو أنك من عشاق مسلسلات السيت كوم

أو كوميديا الموقف المرتبطة بمواقف مسجل عليها شرائط ضحك الجمهور فلا بد أنك تعرفين (جيرى ساينفيلد) أسطورة الكوميديا الجديدة بعد أن ولى عهد(بل كوسبى) ، صحيح أن غالبية البارعين فيها يهود الأصل لكن هذا لا ينتقص من قدورهم شيئًا ، إنهم بارعون فى السيطرة على وسائل الإعلام والترفيه منذ بدايات القرن الـ ...

سنتناقش فى هذه الأمور كثيرًا عندما نلتقى إن كان مقدرًا أن نلتقى بعد رحلتى هذه!

المهم أننى نقلت استغرابى إلى نبرتى وأنا أسأل (جارنر) :

ـ أليس المكان مزدحمًا بالداخل ؟!

قال وهو يسبقنى بالدخول :

ـ ستبدأ الفقرات الكوميدية بعد ساعة ، وحتى وقتها فالمكان شبه خال ..

تبعته إلى منضدة قصية عن خشبة المسرح الوطيئة التى لا يعتليها أحد ، وكان المكان شبه خال بالفعل كما قال ، وغير مظلم كما أراه دائمًا فور بدء العروض ..

ـ كوب من بيرة ..

ـ كوب من الماء ..

هكذا خاطب كل منا النادل المراهق الذى ابتعد فى سرعة ، لأخاطب أنا (جارنر) بعدها وقد استبد بى الفضول :

ـ ما آخر الأخبار؟!

قال (جارنر) دون أن تلين ملامحه الصخرية السوداء :

ـ لا تقلقى على نقودك ، معى تحصلين على أفضل خدمة دائمًا ؟!

كدت أهتف به أننى لست فى حاجة لنشرة دعائية من هذا النوع أو سواه ، لكنى فطنت إلى أنه يطيل الوقت عامدًا عندما اقترب النادل ووضع كوب البيرة أمامه وكوب الماء أمامى وابتعد من جديد ، هنا فقط مد (جارنر) يده إلى جيب سترته الداخلى وأخرج مظروفًا أبيض كبيرًا مغلقًا بشريط لاصق فى عناية فائقة ..

التهمت عيناى المظروف ، ولم أطق صبرًا حتى أمسك به ، غير أن (جارنر) لم يجعل هذا سهلا ؛ إذ قال وهو يلوح به مرارًا :

ـ هذا تقرير مفصل عن الهدف ـ بالأحرى الأهداف ـ بعد أسبوع من المتابعة المستمرة فى الليل والنهار ، سأناوله لك فور تقاضى بقية أتعابى ..

كانت النقود الخضراء فى جيبى ، لكنى آثرت أن أتظاهر ببعض الألمعية :

ـ دعنى ألقى نظرة عليه أولاً ..

قال (جارنر) دون أدنى انفعال على صفحة وجهه الجهم :

ـ هذا خارج قواعد عملنا يا آنسة ، أنت لا تتعاملين مع أحد النصابين أو الهواة هنا ، لو لم يسر العمل حسب القواعد المتفق عليها فاسمحى لى بالانسحاب ..

صاغرة أخرجت الوريقات الخضراء ، كان المبلغ باهظًا بحق ؛ لذا فقد شعرت بأن جلدى ينسلخ والرجل يعد النقود فى سرعة احترافية ، ثم إنه ناولنى المظروف أخيرًا ..

ـ الآن يمكنك إلقاء النظرات كما تريدين ، وسأنتظر لأرى إن كان الناتج هو مبتغاك الفعلى ..

سارعت بنزع الشريط اللاصق كالمعتوهة ، وفضضت محتوى المظروف فى لهفة عارمة ، كان تقريرًا مكتوبًا فى أكثر من ٣٠ صفحة ، وبتفصيل دقيق يحتاج إلى جلسة رائقة ، غير أنى لم أستطع منع نفسى من الغمغمة انبهارًا :

ـ هذا رائع ..

ـ سأعتبر هذا تصريحًا لى بالمغادرة والعودة إلى عملى يا آنسة ..

قالها (جارنر) وقد بدأ فى الاستعداد للمغادرة ، غير أنى استوقفته هاتفة :

ـ انتظر ..

ـ لو كان الأمر يتعلق بالعمل ، فسأنتظر قطعًا !

ـ إنه كذلك ..

نظر (جارنر) إلى الوريقات فى يدى قائلا فى عبوس :

ـ لا أظن أنه شىء يتعلق بالتقرير فأنت لم تقرئيه كاملاً بعد ..

ـ إنه أمر يتعلق بخدمة من نوع آخر ..

عبس أكثر :

ـ أى نوع تقصدين ؟!

قلت فى سرعة وأنا أعيد التقرير إلى مكمنه داخل المظروف :

ـ أريد العثور على مكان للإقامة المؤقتة فى (بروكلين) ..

نظر إلى مستفهمًا فى وجوم ، ففسرت دون أن يطلب :

ـ لا أعنى فندقًا ، أريد مكانًا صغيرًا مثل شقة أو غرفة للإيجار ، لوقت محدود وبميزانية محدودة كذلك ..

قال (جارنر) فى لهجة عملية لا تخلو من استياء :

ـ الخدمات العقارية ليست مجال تخصصى بكل أسف ..

قلت فى استجداء :

ـ ألا تعرف طريقة ما لمساعدتى ؟!

نهض وهو يقول :

ـ سأرسل لك بعنوان متخصص عقارى ، أعرفه على عنوان بريدك الإلكترونى ، أعتقد أنك ستجدين لديه ما تريدينه ..

لم أكن أتوقع أكثر من ذلك ، فنحن لسنا فى (مصر) حتى يتحمس الرجل ويصحبنى على الفور إلى سمسار معرفة ، أو حتى ينصحنى بأن أقول للرجل أننى (تَبَع جارنر) مثلاً !

غادرت نادى الكوميديا وأنا أضم المظروف إلى صدرى كأنى أحمل طفلى الوحيد ، وفور بلوغى الفندق صعدت إلى الغرفة متجاهلة نظرات أبى التى تابعتنى أسفل تقطيبة حاجبيه فى بهو الفندق ..

كان يقف وسط رهط من الأطباء ـ يمكننى أن أشم رائحتهم على مبعدة أميال ـ وقد اندهش بالتأكيد عند رؤيتى عائدة من خارج الفندق ، فبالإضافة إلى أننى لم أخبره بعزمى على مغادرة الفندق قبلها ؛ هأنذا عائدة أضم مظروفًا إلى صدرى كمن تحمل طفلها الوحيد!

لم أكن واعية لما يجرى ، كل ما وعيته هو وجودى على السرير ألتهم الأوراق التهامًا ، ومع كل سطر كنت أبتسم ظفرًا وإعجابًا بعمل السيد (جارنر) الذى يعرف حقًا ما يفعله ..

لا مجال هنا بالطبع لسرد فحوى التقرير كله ، لكن يمكننى أن أخبرك بأهم النقاط التى جاءت فيه يا عزيزتى (مروة) على سبيل التلخيص :

١ ـ تقيم عائلة (البحراوى) المصرية فى قصرها الفخم بشارع sea view أو المشهد البحرى ، وتتكون من عشرين فردًا ، نواتها الأساسية السيد (عاصم البحراوى) الذى يملك القصر باسمه مناصفة مع زوجته السيدة (إحسان تبارك) كما تقضى القوانين الأمريكية ، وابنه الوحيد (جلال) المتزوج من امرأة نصف أمريكية نصف مصرية تدعى (جيهان نصيف) ، فى أواخر الثلاثينيات ، وهى ابنة دبلوماسى مصرى سابق كان يعمل فى الولايات ، ولهما ابنان هما (إحسان) الصغيرة المسماة على اسم جدتها لوالدها ، وتبلغ ثمانية عشر عامًا ، و(عاصم) الصغير المسمى على اسم جده لوالده ويبلغ خمسة عشر عامًا ، وبقية أفراد الأسرة هم إخوة (عاصم) الكبير الثلاث (رأفت) و(محسن) و(نعيم) وزوجاتهم وأطفالهم ، وهم غير مؤثرين فى ديناميكية الأسرة بالمرة ؛ إذ يأتمرون جميعًا بأمر (عاصم) ومؤخرًا ابنه (جلال) على طريقة عائلة الأب الروحى لـ (ماريو بوزو) و(فرانسيس فورد كوبولا) ..

٢ ـ جميع أفراد العائلة يملكون حق البقاء الشرعى فى الولايات المتحدة ، فعن طريق (جيهان) حصل الأبناء والزوج ووالداه على الجنسية الأمريكية ، وحصل الباقون على بطاقات إقامة خضراء ، وهم يملكون بالإضافة إلى

القصر أسطولا من السيارات الفارهة ، ومنزلا آخر فى (بيفرلى هيلز) بـ (كاليفورنيا) بجوار قصر (سلفستر ستالونى) ، والعائلة مقيمة فى الولايات الآن لأكثر من شهرين لقضاء إجازتها السنوية كما يفترض ، غير أن أحدًا لم يعد إلى (مصر) بعد ـ ولا ينتظر أن يعود فى القريب العاجل ـ نظرًا لملاحقات قضائية هناك تتعلق بقروض بنكية تقاضتها شركات مجموعة (القاهرة) الاستثمارية الضخمة التى يديرونها ، وقد حجزت البنوك بالفعل على أغلب ممتلكاتهم هناك بعد سفرهم ، لكن المفاجأة أنهم كانوا قد باعوا أكثر ما يملكونه ، وأودعوا النقود فى حسابات بنك سويسرى شهير له فرع هنا فى (بروكلين) ..

٣ ـ يقضى العجوزان (عاصم) الكبير و(إحسان) الكبرى وقتهما فى الجلوس أمام البحر والتأمل ، وفى الرابعة من عصر كل يوم يتنزهان قليلاً خارج القصر بصحبة كلب مرقط صغير ، تتغيب (إحسان) أحيانًا لكن (عاصم) يتبع نظامًا صارمًا ، يذرع الشارع روحة وجية ويستريح بينهما فى مقهى صغير بنهاية الشارع ، حيث يتناول كوبًا من القهوة المنزوعة الكافيين ، يبتلع على إثرها قرصين من دواء السكر

ودواء الضغط ، ويعود إلى القصر قبل الخامسة ، أى إن النزهة اليومية تستغرق ساعة واحدة على أقصى تقدير ..

٤ - (جلال البحراوى) يستيقظ ظهيرة كل يوم في الثانية عشرة تقريبًا ، يتناول الغداء ويأخذ السيارة (الشيفروليه) الفارهة عابرًا بها جسر (بروكلين) إلى نادى شهير للقمار فى (مانهاتن) ، يخسر غالبًا ويربح قليلاً وعندما يأتى الليل تكون الكحوليات قد أسكرته ، فيصعد إلى شقة يستأجرها منذ شهرين بجوار النادى حيث تنتظره إحدى معارفه النسائية الكثيرة بلا عدد من جميع الجنسيات ، وفى منتصف الليل يعود إلى (بروكلين) لينام حتى ظهيرة اليوم التالى ، وهكذا ، ومتوسط ما ينفقه يوميًا ثلاثة آلاف دولار !

٥ - زوجة (جلال) (جيهان) امرأة نشيطة ومثابرة ، تستيقظ فجرًا وتمارس بعض الرياضة السويدية فى حديقة القصر ، ثم تهبط إلى السوبر ماركت مستقلة أصغر سيارة لدى الأسرة : (البيتلز) الألمانية السوداء ، وتعود لتعد الطعام للجميع بنفسها رغم وجود طباخ فرنسى محترف فى طاقم الخدم بالقصر ، وبعد أن تطمئن على سير الحياة على وتيرتها المعتادة تخرج عند الغروب إلى فرع مكتبة (بارنز آند نوبل) الضخم

فتجلس لتقرأ قليلاً ، وتشترى الكتاب إن أعجبها ، وتحافظ على رشاقتها بتناول القهوة دون سكر ، وبالسير إلى المكتبة ذهابًا وإيابًا ، وهى لا تقابل زوجها إلا نادرًا عند استيقاظه فى الظهيرة ، فعندما يعود بعد يومه الحافل تكون هى قد استغرقت فى النوم ؛ إذ أنها تنام فى العاشرة تمامًا ..

٦ - (إحسان) الصغيرة هى (حسناء بروكلين) كما يطلقون عليها فى تجمعات شباب المقاهى المجاورة التى تتردد عليها فى الضاحية ، وهى مراهقة حسناء بالفعل وتبدو أكبر من سنها ، ورثت ملامح والدتها الجميلة وكاريزما والدها الجذابة ، ترتدى ملابس ضيقة وتضع زينة مبالغ فيها أحيانًا على طريقة عارضات الأزياء ، وقد انقطعت عن دراستها فى (مصر) وتقضى وقتها الآن بين صالة الألعاب الرياضية التى تحافظ فيها على رشاقتها ، والتى تعرفت فيها على صديقتها المقربة النصف سوداء (وينونا) ، وبين المقاهى الشهيرة ، بالذات (ستار بكس) الذى تعرفت فيه على شاب تبدو الملامح الآرية على ملامحه ، يدعى (روبير) ، ألمانى الأصل ، هناك بدايات علاقة رومانسية بينهما لا يعرف أحد عنها إلا (وينونا) الصديقة المقربة ، وهما يتحدثان - (إحسان) الصغرى و(روبير) - الآن فى الهاتف ويتقابلان فى المقهى وخارجه ويبدو أنهما يخططان لشىء ما (الهروب معًا مثلاً) ،

وقد تعذر الحصول على معلومات مفصلة تخص (روبير) أو (وينونا) لأنهما خارج نطاق البحث الذى طلبته عن العائلة ..

٧ ـ (عاصم) الصغير انقطع عن دراسته أيضًا ، وقد انضم إلى مجموعة من الأصدقاء المصريين الأصل ويخططون الآن لبدء مشروع مصغر لمكتب توظيف ، تطوع الأب (جلال) بتمويله بميزانية محدودة ، بعد إلحاح من الابن الطموح ..

٨ ـ هناك معلومات أخرى كثيرة عن بقية أفراد العائلة ، الإخوة الثلاثة وأسرهم الصغيرة ، لكنها معلومات لا تهمنى كثيرًا ، فحياتهم مملة وهم خارج نطاق اهتمامى المنصب على (جلال) ، هو من أريد الوصول إليه بأى ثمن ، وتقديمه للعدالة على طبق من أشواك ذهبية !

٩ ـ القصر محاط بسور عال موصل بكاميرات مراقبة وأجهزة إنذار متصلة بقسم الشرطة القريب ، وهناك حارس خاص يتبدل كل ١٢ ساعة عند البوابة الرئيسية ، بمعنى أن (جارنر) يحاول أن يحذرنى (لن تستطيعى التسلل إلى هناك مهما حاولتِ أيتها المغامرة) !

هذا كل شىء تقريبًا ، أو إن هذا ما علق بذاكرتى من التقرير الذى قرأته عشر مرات على الأقل ، ولم يبق إلا تحديد الخطوة التالية ..

عندما ولجت صندوق بريدى على الإنترنت وجدت رسالة من (جارنر) تحوى عنوان ورقم هاتف الرجل المختص بالخدمات العقارية ، فشكرته فى سرى ، وهاتفت الرجل الذى يدعى (روبن) على الفور محددة مطلبى لشقة أو غرفة بالرقم الذى أقدر على دفعه نظير إقامة لمدة شهر واحد ، فوعدنى بالرد على خلال يومين على الأكثر..

وقد كان !

ما فعلته طوال اليومين لم يكن أكثر من التفكير والتسكع ، استقللت سيارة أجرة وتفقدت حى (بروكلين) الذى يفترض أن يكون مسرح عمليتى القادمة ، وطلبت من سائق السيارة أن يمر أمام قصر (البحراوى) فى منطقة مرتفعات (بروكلين) ، واتسعت عيناى عندما رأيت ضخامته وما يستطيع أن يفعله السارق بنقود المودعين فى البنوك ، غلى الدم فى عروقى فطلبت من السائق أن يسرع بالابتعاد ، لكنى أعرف أنى سأعود إلى هناك قريبًا ..

وعندما أعود ، لن أمر من أمام القصر مرور الكرام يا عزيزتى (مروة) ، أستطيع أن أعدك بهذا عن ثقة ..

فى شوارع (نيويورك) قضيت أيامى فى السير والمشاهدة ، وتذكرت مقولة (صنع الله إبراهيم) فى

رواية (أمريكانلى) أو (أمرى كان لى) ، فقد شاهدت أنا الأخرى كل الجنسيات والأجناس فى الولايات المتحدة ، عرب وإسبان وآسيويين وزنوج ، لكنى لم أشاهد الأمريكان !

بالأمس فقط هاتفنى (روبن) هذا على رقم غرفتى بالفندق الذى تركته له فى مكالمتى الأولى ، وأخبرنى أن المكان جاهز ، غرفة صغيرة مكونة من سرير ومكتب ودورة مياه نظير مبلغ معقول فى منطقة جيدة من (بروكلين) ، قريبة من حى المرتفعات الذى أحتاج لثروة حتى أجد جحرًا سكنيا فيه على حد تعبيره ، ولما أخبرنى بإمكانية معاينتها لم أكذب خبرًا ، وأقلتنى سيارة أجرة صفراء عبر جسر (بروكلين) المعدنى ، لأقابل (روبن) للمرة الأولى ، وأرى الغرفة ..

(روبن) شاب بدين ، أشقر اللحية ، يرتدى ملابس واسعة وقبعة (بيسبول) تحمل اسم الفريق الذى يشجعه ، قابلنى بود مهنى عند المكان المتفق عليه ، بناية قديمة من الطوب الأحمر بأسفلها متجر للورود ، وتشرف على محطة لمترو الأنفاق ، وعبر السلالم بلغنا الحجرة التى قررت على الفور أنها ستكون سكنى القادم ، وبعد أقل من ساعة كنت قد وقعت العقد ، ودفعت أجرة الشهر مقدمًا مع عمولة (روبن) بالطبع ..

هكذا سبق السيف العزل ، وليس أمامى إلا الانتقال غدًا ، ولما كنت قد فكرت هكذا بالأمس فإننى كنت أعشى اليوم بالطبع ، ولم تكن هناك سوى عقبة وحيدة باقية ..

أبى ..

لم يعد إلى الحجرة ليلة أمس إلا فجرًا ، بعد جلسة المؤتمر الختامية والعشاء الجماعى الذى شهده جميع الحضور ، وكان النوم قد غلبنى بالكاد فلم أشعر به إلا وهو يدخل ، وبعد عدة ساعات من الكوابيس المزعجة استيقظت وأنا ألهث ، لأجده جالسًا على مقعد بجوار النافذة ، مسندًا عكازه المعدنى إلى الجانب ، وبين يديه أوراق يطالعها فى ضيق بالغ على ضوء النهار المتسرب من النافذة الزجاجية ..

نهضت وأنا أهرش فى شعر رأسى المتناثر ، وأتساءل شاعرة بمدى جفاف حلقى :

ـ ألم تنم يا أبى ؟!

أجابنى بسؤال ، وهو مستمر فى القراءة دون أن يجشم نفسه عناء الالتفات إلىّ :

ـ ما هذا يا (نسرين) ؟!

حملت نظارتى من الخوان المجاور ، ووضعتها لأتبين ما يحمله ، قبل أن أجيب :

ـ تقرير عن عائلة (البحراوى) كتبه متحر خاص متخصص نظير أجر ، وهذا الذى فى يدك الأخرى نسخة من عقد إيجار غرفة فى (بروكلين) !

لوح أبى بالعقد ، قائلاً دون حتى أن يلتفت إلى :

ـ هل هو ممهور بتوقيعك أم أننى واهم ؟!

قلت وقد أراحنى جزئيًا إذ وفر على عناء فتح الموضوع :

ـ كلا يا أبى ، لست واهمًا ..

نظر إلى أخيرًا ، وقال بعينين مشتعلتين :

ـ ما الذى يدور فى رأسك بالتحديد يا فتاة ؟!

ـ يمكنك اعتبارها مهمة صحفية ..

ـ فقط ؟!

ـ سيكون هذا الاعتبار مريحًا لجميع الأطراف ..

حدجنى أبى بنظرة لم ألمحها فى عينيه من قبل ، وقال :

ـ ماذا دهاك يا فتاة؟! هل تتصورين أننى سأسمح لك بالبقاء هنا بمفردك بعيدًا عن عينى ؟!

قلت فى هدوء وأنا أحاول ألا أتخلى عن سمت الفتاة المهذبة :

ـ لم أعد طفلة يا أبى ، وبإمكانى أن أتحمل مسئولية اختياراتى ..

ـ أخبرينى إذن بما تنوين فعله ..

ـ ليتنى أعرف !

ـ ومتى كنتِ تنوين إخباري ؟!

أجبته بلهجة ذات مغزى :

ـ قبل أن تكتشف كل شىء وحدك بفترة كافية !

فهم ما أرمى إليه ، فاكفهر وجهه ، ونهض محتملاً على عكازه ، وهاتفًا فى انزعاج :

ـ اعلمى إذن أننى غير موافق على ما تفعلينه ، ولن أسمح لك بإلقاء نفسك فى التهلكة بينما أراقبك أنا من بعيد ..

تنهدتُ ، وبعد مسافة زمنية كافية قلت :

ـ سأبقى يا أبى ، هذا كل ما أعرفه ..

- لأبقى معك إذن ..

جاءت منك على الأقل يا أبى !

- بل ستعود إلى (القاهرة) لمتابعة أعمالك ومستشفاك ، وسنبقى على اتصال .. كل ما أستطيع أن أعدك به أننى سأحاول أن أكون حذرة ..

غمغم أبى مبهوتًا :

- هل تعارضين ما أقوله يا (نسرين) ؟!

- بل أفعل ما يتوجب فعله ، وما ستوافق عليه فى أعماقك يا أبى لو أنك تتحدث الآن إلى (نسرين) الصحفية الراشدة لا (نسرين) الطفلة البلهاء ..

- كل هذا بسبب ... ؟!

لم يقو أبى على إكمالها بلهجة الأسف وعض الشفتين ، فقلت :

- لا تستهن بموقفى البطولى إلى هذا الحد ، لا مشكلات شخصية بينى وبينك ، وبالنسبة للحادث الذى لم نتحدث فيه من قبل ، فقد كان آخر عقبة أجتازها كمهرة فى سباق النضج الكامل ، من حقك يا أبى أن تفعل ما تحب !

طالت مسافة الصمت الزمنية ، قبل أن يرفع أبى عينيه اللتين انحبست الدموع فيهما ، ويقول مرتجًا من العصبية :

- ليكن ، لن أجادلك فى أمور لم يحن وقت الجدل بشأنها بعد ، لكن اعلمى أن موقفى لم يتغير ، إننى غير موافق على موقفك ، وإذا أصررت على السير وراء جنونك فلن أسامحك أبدًا ..

واتجه بعكازه نحو الباب :

- ولن أسامح نفسى أيضًا !

انغلق الباب خلفه ، وأتت خدمة الغرف لتمارس عملها بينما تناولت إفطارى متحاشية النظر إلى مائدة أبى القريبة ، وفور انتهائى صعدت لأرتب حاجياتى وحاجياته فى الحقيبتين المنفصلتين ، وطلبت سيارة الأجرة التى ستقلنى إلى (بروكلين) ، وريثما أنتظرها جلست أكتب لك خطابى هذا يا عزيزتى (مروة) ..

هأنذا أبلغ نهاية الخطاب ولم تصل السيارة بعد ؛ لذا سأكسب بعض الوقت فى الهبوط إلى البهو بحقيبتى ، وسأحاول أن ألقى بخطابى هذا فى أقرب صندوق للبريد ..

انتظرى منى خطابات أخرى ، من مسكنى الجديد فى (بروكلين) يا عزيزتى ..

وحتى نلتقى ، تمنى لى التوفيق ، فأنا أحتاج لكل دعاء من أجل تحقيق النجاح فى خطتى التى لم تتضح صورتها الكاملة بعد ..

إلى اللقاء يا عزيزتى (مروة) ، وسلامى للجميع مرة أخرى ..

صديقتك

نسرين

★ ★ ★

الثالث

عزيزتى (مروة) ..

الساعة الآن العاشرة بتوقيت (نيويورك) ، وبعد أقل من أسبوع من خطابى الفائت أستطيع أن أقول لك والأدرينالين يتدفق فى عروقى إننى قد أصبحت قريبة للغاية من الإمساك بخيط ما ..

عدت إلى غرفتى قبل قليل ، وهأنذا أحتفل بنجاحى فى مسعاى بالكتابة إليك يا عزيزتى ، على المنضدة الوحيدة فى الغرفة التى آوت جنونى لسبعة أيام كاملة ، والغرفة لا توصف إلا بما وصفتها مسبقًا ، سرير ومنضدة ودورة مياه صغيرة ، ربما نسيت فقط أن أقول إن بها نافذة تطل على الشارع الرئيسى بالأسفل ، والشوارع هنا واسعة ونظيفة ومنمقة بالمقارنة بأنظف شارع فى عالمنا الثالث ..

للأسف !

أقلتنى سيارة الأجرة إلى هنا للمرة الأولى بعد انتهائى من وضع خطابى السابق إليك فى صندوق البريد مباشرة ..

ودعتُ أبى بقبلة على وجنته فى بهو الفندق ، ولم يردّها هو إلى ، بل وأشاح بوجهه عنى فى دلالة لا تقبل الشك على رفضه لما أفعل ، لكنى كنت ومازلت مدفوعة بقوة خارقة نحو هذه المغامرة المجهولة..

قوة لا أدرى من أين جاءتنى وإلى أين سوف تأخذنى ..

فور وصولى إلى هنا وقتها ، وبعد أن أغلقت الباب خلفى بالمفتاح والقفلين الضخمين لدواعى الأمن ، انتابنى شعور مقبض بالوحشة ..

فكرت للحظة فى عبثية اللحظة الراهنة ، وانتابتنى رغبة ملحة فى ترك كل شىء والعودة إلى الفندق فى سيارة أجرة أخرى ، وبعدها أركب الطائرة مع أبى إلى منزلنا فى (المعادى) ، كدت أفعلها وأنجو بنفسى من جنونى لكنى غفوت بملابسى على السرير المرتب ، وداهمتنى كوابيس شنيعة كأنها كانت تنتظر فقط أن أغلق جفنى ..

رأيت نفسى فى القبو الذى احتجزت فيه مع الأستاذ (هلال رضا) ، ورأيت نفسى أعدو فى ليل الصحراء والذئاب تطاردنى حتى غرست أنيابها فى لحم قدمى ، ورأيت الرجل الظل يقف واقفًا عن مساعدتى فى الأفق الرمادى البعيد ، و ...

واستيقظت أخيرًا على طرقات الباب الواهنة..

ما الذى يجرى ؟!

استغرقنى الأمر عدة لحظات حتى أدرك أين أنا وأميز الموجودات من حولى ، ولم أستوعب أبدًا فكرة أن ياتينى زائر الآن ، فور انتقالى إلى مكان جديد كهذا ..

من عساه أن يكون ؟!

نهضت فى ارتباك ، واتجهت إلى عين الباب السحرية ، ومن خلالها رأيت تلك السيدة العجوز بالشعر القطنى الأبيض القصير الذى يكلل هامتها ، وبالتجاعيد الغائرة فى صفحة وجهها ، تقف باسمة لتبرز أسنانها الصناعية الناصعة وهى تمسك بسلة مغطاة بقطعة من القماش ، واستطعت أيضًا أن أميز ملابسها المنزلية البسيطة من وراء الباب المغلق ..

ـ من الطارق ؟!

هتفتُ وقلبى يخفق فى عنف ، فأتانى صوتها الواهن بالشيخوخة التى تلف نبراته :

ـ أنا (هيلدا) جارتك يا حبيبتى ..

لم يبدُ مظهرها مثيرًا للشك ، لكن ! كان على أن أتذكر أن الذئب قد هاجم الحملان متنكرًا فى زى امرأة عجوز تحمل سلة !

ـ لحظة من فضلك !

هتفت بها وأنا أفكر فى الخطوة التالية ، ووجدت نفسى مدفوعة لأبسط الحلول :

لقد أنزلت الأقفال وجذبت مقبض الباب محافظة على مسافة ضيقة للانفتاح بواسطة السلسلة المعدنية المثبتة إلى الجدار كما أشاهدهم يفعلون فى الأفلام الأجنبية ، وكما لم يفعل الحملان بالطبع!

ببسمة زائفة قلت :

ـ مرحبًا يا سيدتى ..

قالت المرأة العجوز :

ـ مرحبًا بك أنت أيتها السيدة الصغيرة ، لقد جئت حاملة إليك بعض الكعك.. هدية ترحيب بجارتى الجديدة كما تقتضى التقاليد أن أفعل ..

هذه المرأة تسكن وراء أحد الأبواب المطلة من الممر فى هذا المبنى القديم إذن ..

ـ شكرًا ..

لم أجد كلمة غيرها تصلح لأن تقال ، ووجدتنى أزحزح سلسلة الباب المعدنية وأفتح الباب إلى درجة المواربة ، وأتناول منها السلة دون أن أدعوها للدخول ..

ـ لو حدث واحتجتنى لأى شىء فلا تترددى ، أنا أسكن الغرفة المجاورة لك مباشرة ..

هززت رأسى فى امتنان ، لو أنها تعتقد أننى سأدعوها للدخول مهما بدت ودودة فهى واهمة ، فقد كنت لحظتها أراجع نفسى فى حركة فتح الباب المتهورة هذه أصلا ..

ـ شكرًا ..

لم تتزحزح المرأة عن موقفها وواصلت :

ـ كما أخبرتك ، اسمى (هيلدا) ، أنا يهودية و ...

لم أسمع بقية كلامها ، وفكرت فى إلقاء السلة وإغلاق الباب على الفور لكنى تذكرت الفارق الأكاديمى بين

اليهودية والصهيونية ، وتمنيت لو انتهى كل شيء بيننا بسرعة ، فى الحق أننى تمنيت لو أن شيئاً لم يبدأ من الأصل ، وحاولت التماسك للنهاية حتى لا أجد نفسى متهمة بمعاداة السامية فى بلاد أصدرت قانوناً بهذا المعنى لتلاحق به أعداء اليهود والصهاينة ..

تحدثت (هيلدا) كثيراً ونحن واقفتان على الباب ، كيف أنها تجاوزت الثمانين منذ شهور قليلة ، وكيف أنها شهدت فى شبابها محارق النازى الألمانية قبل أن تهرب وتهاجر إلى هنا مع زوجها ، وكيف أن بعض أبنائها عادوا إلى (أوربا) والبعض الآخر هاجر إلى (إسرائيل) بحثاً عن حياة أفضل فى أرض الميعاد ، لكنها أبت إلا أن تموت هنا فى الأرض التى لم تبرحها منذ غادرت (برلين) ، وبعد أن فرغت من سرد الكثير عن الوحدة التى تعيشها والخطوط المقطوعة بأبنائها وأقاربها بعد وفاة زوجها القريبة لم تنس أن تسألنى :

ـ بالمناسبة ، هل أنت أمريكية ؟!

أجبتها فى اقتضاب وبسمة مغتصبة :

ـ كلا ..

ـ من أى البلدان أنت إذن ؟!

ـ عربية ، من (مصر) ..

ـ أوه !

ندت الآهة عن (هيلدا) التى تفاجأت على ما يبدو ، وعندها فقط انقطع سيل ثرثرتها ، وقالت ناظرة إلى السلة فى يدى ومجاهدة لإخفاء حسرتها :

ـ سعدت بلقائك أيتها السيدة الصغيرة ..

واستدارت أخيراً عائدة إلى غرفتها ، بينما أغلقت أنا الباب على الفور ، وسارعت بإلقاء محتويات السلة فى سلة أخرى ؛ سلة المهملات بالطبع لو لم يسهل استنتاج هذا يا عزيزتى (مروة) !

هذا ما كان ينقصنى ، جارة يهودية فى مدينة أمريكية وأنا أستعد للبحث عن ثأر شخصى ..

كانت الشمس قد بدأت فى إطالة ظلال الأشياء خارج الغرفة فى ميلها نحو الغرب ، وقررت أن أبدأ عملى من ذلك اليوم ، بل من تلك اللحظة تحديداً ..

لقد هبطت إلى الشارع ، ودسست نفسى فى أول سيارة أجرة صفراء طالبة من السائق أن يقودنى إلى الشارع المطل على البحر فى منطقة مرتفعات (بروكلين) ، وهناك ، هبطت على مبعدة بضع بنايات من قصر (البحراوى) الشاهق ، وفى مواجهة ظلى الطويل على الأرض وقفت أرقب كل شىء بعينين مشتعلتين بالنيران الملتهبة ..

تجاهلت الجوع الذى يقرص أمعائى ، عندما رأيت البوابة الحديدية تنفتح فجأة ، والرجل الكبير (عاصم البحراوى) يخرج عبرها ممسكًا بسلسلة معدنية تنتهى بطوق جلدى مربوط فى عنق كلب مرقط تفوح من خطواته روائح الدلال والغدرة ، وكان الرجل الكبير بشعره الفضى ونظراته الحادة يرتدى ملابس رياضية ، قميص رمادى وسراويل قصيرة من نفس اللون ، وقد اتجه بالكلب نحوى فأعطيته ظهرى بحركة لا إرادية ناظرة فى ساعة معصمى ..

الرابعة عصرًا بالدقيقة ..

التقاليد العسكرية الصارمة ..

حاولت تتبع الرجل من بعيد ، ولم يلاحظ هو أن هناك من يتبعه حتى بلغ المقهى الفاخر فى نهاية الشارع حيث

طلب فيه القهوة بدون كافيين ، وطلبت أنا شطيرة من الجبن والخضراوات (من يضمن لى شرعية اللحوم المذبوحة هاهنا؟!) وفور فراغه تركت بقية الشطيرة وعدت أتبعه حتى بوابة القصر التى انغلقت خلفه فى الخامسة تمامًا ، فشعرت بجليد الراحة يغمر صدرى النافث حرارة ..

لم تذهب نقودى التى أخذها (جارنر) هباء إذن ، ولعرى فهى نتيجة هامة مقارنة بالمبلغ الباهظ الذى نقدته إياه ، وطبقًا لهذا فـ (جلال البحراوى) يلهو فى (مانهاتن) الآن ، و(جيهان) زوجته ستخرج فى نزهتها اليومية بعد قليل ، أما الصغار فلا مواعيد ثابتة لهم..

كنت قد حددت هدفى القادم تقريبًا يا عزيزتى (مروة) من لحظتها :

يجب أن أدخل قصر (البحراوى) بنفسى ؛ كى أبحث هناك عما يمكن أن يقودنى لخطوتى التالية فى خطتى المجهولة !

صحيح أنه يبدو هدفًا خياليًا فى ظل وجود سور عال ، وحارس يقظ فى زى رسمى عند البوابة ، لكنى كنت قد كونت فكرة مبدئية عما يمكننى عمله ، وقد تبلورت هذه

الفكرة عندما رأيتها تغادر القصر بملابسها الرياضية البسيطة ..

(جيهان نصيف) ، الزوجة النشيطة التى كانت أجمل وأكثر شبابًا وأناقة وحيوية مما رسمته لهيئتها فى خيالى ، فى طريقها اليومى للمكتبة حيث تقضى أغلب وقت فراغها ، وكان على أن أتبعها إلى هناك ، إلى أكبر متجر للكتب رأيته فى حياتى يا عزيزتى (مروة) ..

إن (بارنز آند نوبل) علامة تجارية لمتجر كتب شهير ، وفرعه فى (بروكلين) يعد من أكبر المكتبات فى العالم ، طابقان كاملان يصعب ألا تجدى فيهما أى كتاب يخطر ببالك ، وتذكرت مكتبة (بابل) التى روى عنها الأديب الأرجنتينى (بورخيس) فى إحدى روائعه القصيرة ، بامتدادها اللانهائى واحتوائها على أى مصنف منذ بدء الخليقة ، إن هذا المتجر قريب للغاية مما رواه (بورخيس) ، الذى لم يعش ليرى ما رأيته ..

تعرفين عشقى للكتب ورائحة الورق وملمس الحروف المطبوعة يا عزيزتى ، كلنا كذلك بحكم المهنة على الأقل ، وقد أصابتنى عناوين الكتب وأشكال الأغلفة وطريقة

العرض بالدوار ، ما بين كتب ذات أغلفة صلبة وأخرى ورقية وكتب مسموعة وأسماء لأدباء أعرفهم ولا أعرفهم ، ففوجئت بأنى قد فقدت أثر (جيهان) لساعة وربما أكثر ، لكنى وجدتها فى النهاية تجلس فى المشرب الصغير الملحق بالمكتبة ، أمامها كوب من الشاى الأخضر (لا بد أنه منزوع السكر كما جاء فى التقرير) ، وبين يديها كتاب استطعت أن ألمح جزءًا من عنوانه ، وعلى المنضدة أمامها كتابان آخران من النوع نفسه ..

إنها تهوى إذن هذا النوع السخيف الذى لا يطاق من الكتب التى تتحدث عن كيفية تحسين أدائك الذهنى وطرق زيادة ثقتك بنفسك وفن اكتساب الأصدقاء وإطلاق العنان لقواك الخفية إلى آخر هذا الهراء ، أسمى هذا النوع بـ (الكتب الاستهلاكية) ، ومؤلفوها لا يقومون بأكثر من كتابة كل ما يرد بخاطرهم ، ولا يبيعون لقارئهم إلا الوهم الذى يلهث خلفه كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، وأكبر دليل هو الكتاب الشهير (الرجال من المريخ والنساء من الزهرة) الذى تحول بعدها إلى سلسلة من الكتب ثم إلى حلقات تلفزيونية وحلقات دراسية على طريقة استثمار النجاح و(استغفال) الزبون حتى آخر قطرة ، ما دام الزبون راضيًا !

لا بأس ، كان السيناريو مكتملا فى ذهنى تقريبًا ، وليس على إلا أن أشرع فى تنفيذه ..

اقتربت من مجلس (جيهان) ورسمت على شفتى بسمة جذابة ، وأشرت إلى الكتاب المفتوح بين يديها سائلة بالإنجليزية فى أداء تمثيلى جاهدت لإتقانه :

ـ عذرًا يا سيدتى ، هل لى أن أسأل من أين اتيت بهذا الكتاب ؟! إن المكان متسع كما ترين وكنت أبحث عن هذا الكتاب بالذات ..

بادلتنى(جيهان) البسمة بأخرى ، وأشارت إلى جهة ما مجيبة :

ـ هناك ، خلف ذلك الركن الخاص بالأسطوانات الضوئية ..

قلت لأطيل الحديث الذى بدأ بالكاد :

ـ وهل يستحق أن يقتنيه المرء كما قيل لى ؟!

أشارت إلى الكتاب وقالت:

ـ هذا ما أحاول اكتشافه هاهنا ..

إنجليزيتها ممتازة ، ولكنتها أمريكية قحة ، ومع هذا فقد عقدت حاجبى مواصلة أدائى التمثيلى الناجح حتى الآن :

ـ عذرًا يا سيدتى مرة أخرى ، ولكن .. هل أنت من الشرق الأوسط ؟!

ـ نوعًا ما ..

قالتها وهى تحدق فى بسمة تتسع ، قبل أن تضيف :

ـ أعتقد أنك تنتمين إلى هناك أيضًا !

هنا حولت لهجتى إلى العربية (ربما كان هذا مبكرًا لكن السيناريو يعتمد على الارتجال أولاً) وأنا أقول فى دهشة مصطنعة :

ـ فعلاً ، أنا من (مصر) .. كيف عرفتِ هذا ؟!

قالت هى الأخرى بالعربية :

ـ لهجتك الإنجليزية واضحة ، أنا الأخرى نصف مصرية.. السؤال هو كيف عرفتِ أنتِ أننى أنتمى إلى هناك؟!

يا لى من غبية ، كنت سأتمحك فى حكاية اللهجة هذه لكنها قطعت على طريق العودة ، لكن سرعة بديهتى تنقذنى أحيانًا يا عزيزتى (مروة) :

- تستطيعين أن تطلقى عليها سرعة بديهة أو فراسة يا عزيزتى !

إجابة عامة ومسطحة لكنها كل ما كنت أحتاجه للخروج من خانة (إليك) ..

- (جيهان نصيف) ..

قالتها (جيهان) بود وهى تمد لى يد المصافحة ، فصافحتها ونطقت باسمى بطريقة مختلفة قليلاً :

- (نسرين فاروق) ..

سيكون هذا أكثر أمنًا فى حالة إذا ما ذكرت اسمى أمام زوجها مثلاً ، صحيح أن التقرير يقول إن علاقتهما شبه مقطوعة لكن أحدًا لا يضمن ما قد يحدث ..

دعتنى للجلوس فجلست وتبادلنا أطراف الحديث ، عرفت نفسها إلى على أنها ابنة الدبلوماسى السابق وتحاشت ذكر أى شىء يخص زوجها أو عائلته ، أو سبب تواجدها فى الولايات كما قالت إنها تحمل الجنسية الأمريكية وأولادها يفضلون أن يتعلموا هنا (كذبة بيضاء بغرض حفظ ماء الوجه ، لا بأس ، لا بأس على الإطلاق!) ، تقضى وقتها فى تعلم طريقة

صنع الأكلات الجديدة ، وتتمنى العودة لـ (مصر) قريبًا ، هذا كل ما تحدثت به عن نفسها فى معرض حوارنا العام جدًا حول الحياة والسفر والناس وغيره ..

أما أنا فقد جادت قريحتى بقصة أزعم أنها ممتازة رغم ميلودراميتها الفاقعة ، تحاشيت إخبارها بأنى صحفية حتى لا تأخذ منى موقفًا مسبقًا نظرًا لوضعها الحرج كزوجة لهارب من العدالة فى (مصر) ، أخبرتها أننى شابة مصرية أرغمها أهلها على الزواج من ابن عمها المهاجر إلى الولايات المتحدة منذ سنين طمعًا فى دولاراته ، تم عقد القران فى (القاهرة) وأتيت إليه هنا فى (نيويورك) ، لكنى لم أطق الحياة مع عربيد سكير مثله فطلبت منه الطلاق ، ولما حصلت عليه قررت ألا أعود إلى (القاهرة) وأن أبدأ حياتى من جديد هنا رغم أنى لم أحصل على الجنسية بعد ، ولم أعود وقد توفيت أمى - الوحيدة التى يمكن أن تتفهم موقفى فى هذا الكون - بعد أن سافرت إلى هنا بوقت قصير ؟!

أين أنت يا (حسن الإمام) الآن ؟!

الجميل فى قصتى هذه أنها أكسبتنى تعاطف (جيهان) من اللحظة الأولى ، ولم نغادر (بارنز آند نوبل) إلا ونحن

صديقتان تبادلتا أرقام الهاتف وتواعدتا على اللقاء غدًا فى نفس المكان ، وفى نفس الموعد ، والحق أن (جى جى) - كما طلبت منى أن أدللها مثل صديقاتها القدامى - كانت سخية معى فدفعت حساب المشروبات وأعطتنى الكتاب الذى سألت عنه كهدية ، دون أن تعرف قطعًا أننى أمقته وأمقت كل شبيه له ..

تمادت (جى جى) فى أريحيتها إلى أقصى حد ، وأصرت على توصيلى بسيارة أجرة إلى مسكنى أولاً ، وماتعت بشدة فى أن أدفع الأجرة ، وعندما انغلق على باب الغرفة أخيرًا ، ألقيت بالكتاب المستفز على المنضدة ، وجلست أفكر فى أننى قد أصبحت قريبة للغاية من مسعاى فى دخول قصر (البحراوى) ، وشعرت بوحشة شديدة فى أول ليلة أقضيها وحدى فى (بروكلين) ، ففكرت فى مهاتفة (هشام) أو أبى أو أى من صديقاتى (كنت ممن فكرت فيهن بالطبع يا عزيزتى!) ، لكنى جاهدت نفسى وامتنعت ، أولاً : لأنى لن أهبط إلى الشارع وحدى بعد العاشرة مساء مهما كلفنى الأمر ، وثانيًا : لأنى يجب أن أعتاد الابتعاد ؛ لأنها أيضًا فترة نقاهة كما كتبت لك من قبل !

فكرت أيضًا فى أنى أفتقد السيد (س) ، وتمنيت لو يتصل بى مثل كل مرة ويدلنى على الطريق الصحيح ، لكنى هنا فى (بروكلين) ولست فى منزلنا أو فى مكتب (هشام) بالمباحث الجنائية ، وبتطبيق نظرية الانفصام ، أى إن السيد (س) هو أنا فى النهاية ، فالموضوع لا يتجاوز أن كل شىء يسير على أتم ما يرام ، وليس هناك ما يستدعى ظهوره بعد ..

نمت ليلتها طويلا ، ولم أحلم بشىء ، وصحوت متأخرة لكنى بدأت عملى على الفور ، فبعد أقل من ساعة كنت أمام القصر فى ناحية المرتفعات ، أراقب خروج السيارة (الشيفروليه) الفارهة وبداخلها (جلال البحراوى) من البوابة ، ثم اتجاهها نحو منطقة الجسر القريبة ..

مهما رويت لك وسودت صفحات وصفحات يا عزيزتى (مروة) ، فلن أستطيع أن أنقل لك واحدًا من المليون مما شعرت به لحظة رؤيتى له ثانية ، أقل ما يمكن أن يقال أننى تخيلت نفسى أسدد سكينًا حادًا إلى صدره ، وبعدها أطلق رصاصة على جبهته ، ثم ألقى عليه بدلو من البنزين يليه عود ثقاب مشتعل ، وكل هذا لم يكن ليشفى غليلى تجاهه !

هذا قاتل وسارق وسكير ومقامر ، كدت أقضى نحبى فى الصحراء بسبب أمر أصدره ، فأى عقاب يمكن أن يستحقه؟!

أى عقاب يليق به ؟!

أى عقاب ؟!

قضيت بقية الوقت أذرع الشارع روحة وجيئة ، ورأيت سيارة أخرى تغادر القصر فى الثانية ظهرًا تقريبًا ، سيارة (جيب شيروكى) فضية ، استطعت أن ألمح بداخلها فتى تجاوز المراهقة بالكاد ، هو (عاصم) الصغير بالتأكيد ، وهو يقود دون رخصة قيادة تقريبًا ؛ إذ إنهم لا يستخرجونها هنا - أو فى أى مكان آخر - فى سن الخامسة عشر حسب علمى ..

فى الرابعة خرج (عاصم) الكبير مصطحبًا كلبه وعاد فى الخامسة ، تبعته وطلبت شطيرة أخرى وعندما عدت كنت قد بدأت فى لفت نظر الحارس المتشكك ، فاقترب من وقفتى على الرصيف المقابل ، وقال عادلا من قبعته بينما المطارق تهوى على قلبى :

- عذرًا يا آنسة .. هل تعانين من مشكلة ما هاهنا ؟!

لم أجد فى تجويف فمى ريقًا أبلعه ، فقلت مجاهدة للتظاهر بالتماسك :

- لا شىء يا سيدى .. لا شىء !

- إنك تحومين حول هذا الشارع منذ الأمس ، وتقفين أمام هذا المنزل لتراقبينه منذ الصباح ، كدت أطلب الشرطة لكنى رأيت أن أتحدث معك أولاً ..

آخر ما أحتاجه الآن هو أن يقبض على ؛ لذا فقد ابتسمت فى ارتباك وأنا أقول متراجعة بظهرى أمامه ؛ كأنى أستعد للياذ بالفرار :

- حسنًا فعلت يا سيدى ، صدقنى إن نيتى حسنة .. سأنسحب الآن و ... إلى اللقاء !

وانطلقت مبتعدة عنه والعرق الغزير يرشح على جبهتى ووجنتى الحمراوين ، لاعنة غبائى فى سرى ، فقد كدت أفسد كل شىء وأنهى خطتى قبل أن تبدأ بحركة المراقبة المستمرة الغبية هذه ، فى حين أننى قد كسبت صداقة أحد سكان المكان بالفعل ..

كان على عندها أن أزجى بعض الوقت حتى موعد لقائى بـ (جى جى) بعد السادسة فى (بارنز آند نوبل) ، ولما كنت ذاهبة إلى هناك ، فقد رأيت ألا مانع من ابتياع جريدة (نيويورك تايمز) ونسختى (نيوزويك) و(تايم) والجلوس قليلاً على مقهى (ستار بكس) القريب بعد شارعين ، فمنذ مدة وأنا منعزلة عن العالم ومن الجميل الاطلاع على ما يحدث وإن كنت سأرى من خلال عيون أمريكية صرفة ..

اتخذت مجلسى الوحيد فى عمق المقهى بعيدًا عن أى زحام محتمل ، ولسوء حظى ـ الذى لم يكن سيئًا إلى هذا الحد ـ فما كدت أقلب بضع صفحات من الجريدة حتى جاء شابان يافعان وجلسا على المائدة المجاورة لى تمامًا ، فكدت أغير مقعدى غير أن تعبيرًا سمعته جعلنى أغير من رأيى ، وأوقن أن حظى لم يكن سيئًا إلى هذا الحد ..

بل لم يكن سيئًا بالمرة ..

كان المراهق الأول يقول للثانى :

ـ صدقنى رأيتها بعينى قادمة إلى هنا مع صديقتها السمراء ..

والثانى يرد عليه منبهرًا :

ـ واو .. حسناء (بروكلين) بنفسها ؟!

هذا هو التعبير الذى جعلنى أتراجع يا عزيزتى (مروة) !

ـ إنها لم تظهر منذ عدة أيام حتى ظننا أنها سافرت أو شىء من هذا القبيل ..

ـ ستدخل المقهى بين لحظة وأخرى ..

ـ وماذا عن فتاها طويل القامة ؟!

ـ لم يظهر بعد ، وإن ظهر فيكفينا أن نراها ، إننى لا أطلب صداقة الشمس رغم أنها تشرق فوق رأسى كل يوم يا صاح !

ـ ها هى ذى ، انظر ..

ونظر المراهقان بعيون متسعة ولسانين متدليين إلى حيث نظرت أنا ، كانت فتاة سمراء تدفع باب المقهى ومن خلفها فتاة أقل ما يقال عنها أنها رائعة الجمال ، لقد ورثت (إحسان) الصغيرة أفضل الجينات من عائلتى أبيها وأمها على ما يبدو ، وكانت عملية التهجين ناجحة إلى حد أنها استحقت عن جدارة اللقب الذى يطلقه عليها الجميع هنا ..

حسناء (بروكلين) !

الفتاتان ترتديان الملابس الرياضية ، الوجهان مرهقان فى مرح وخصلات الشعر ملتصقة بالرأس من فرط العرق ، وعلى ظهر كل منهما حقيبة تحوى حاجيات صالة الألعاب بالطبع ..

جلستا على مبعدة عنى ، ورأيت أن تغيير مكانى الآن للاقتراب منهما ليست بفكرة ناجعة إلى هذا الحد ..

الفتى الذى تحدث عنه المراهقان بجوارى ، هو بالتأكيد (روبير) الألمانى ذو الملامح الآرية الذى ذكره (جارنر) فى تقريره المفصل ، والذى ينسج خيوطه العنكبوتية حول الحسناء المراهقة ليوقعها فى حبائله ، وهو بالتأكيد أيضًا الفتى ذو القوام الممشوق إلى حد شاهق الذى دخل إلى المقهى باسمًا ليتخذ مجلسه بجوار (إحسان) الصغيرة مباشرة ، فيتبادلان الحديث والضحكات بينما تتابعهما عيون الحسد الذكورية إلى جوارى ، أما (وينونا) السمراء فقد تركت المقهى كله ؛ لتخلى لهما الجو الرومانسى الهادئ ..

تحاشيت النظر قدر استطاعتى ، وإن كان الفضول يقتلنى وقتها لمعرفة ما يتحدثان عنه ، غير أنى تحاملت على نفسى

وطويت الصحيفة والمجلتين تحت إبطى ، ونهضت مغادرة المقهى فى السادسة تقريبًا ؛ لألحق بموعد (جى جى) فى (بارنز آند نوبل) ، وعندما مررت بجوار طاولتهما قبل مغادرتى سمعت جانبًا يسيرًا من الحديث بالإنجليزية :

ـ صدقنى ، (روبير) .. حياتى أصبحت لا تحتمل ، أريد ترك كل شىء واللحاق بك ..

ـ لا تتسرعى يا حبيبتى ، سيأتى الوقت الذى سنكون فيه معًا إلى الأبد .. صدقينى !

حوار مكرر للمرة المليون يليق بفيلم من أفلام الأبيض والأسود ، ولا أعلم إن كانت لهجة هذا الـ (روبير) أفاقة بالفعل أم إن التعود على أفلام الأبيض والأسود جعل من وجود الحبيب الأفاق مجرد (كليشيه) لا بد منه ..

أسرعت إلى متجر الكتب ، ووجدت (جى جى) فى انتظارى ..

ـ هل قرأت الكتاب ؟!

ـ أى كتاب ؟!

ـ الذى أعطيتك إياه بالأمس ..

ـ طبعًا !

وقضيت أغلب الوقت أناقشها فى كتاب لم أقرأ فيه حرفًا واحدًا ، تأكيدًا على سياسة النصب العلنية التى يمارسها مؤلفو هذه الكتب وناشروها على حد سواء!

المهم أن علاقتى بـ (جى جى) قد توطدت بسرعة صاروخية فى خلال الأيام الماضية إلى حد لا يصدق.. توقفت بالطبع عن مراقبة القصر ، وكان يومى يبدأ فى (ستار بكس) لمراقبة حسناء (بروكلين) وفتاها الألمانى إن كانا هناك ، حتى يحين موعد تريض الرجل الكبير فى الرابعة عصرًا ، فأذهب إلى مقهاه وأراقبه حتى يفرغ من قهوته المنزوعة الكافيين ، ثم أعود بعدها إلى (ستار بكس) لأراقب الحسناء وفتاها إن كانا هناك مرة أخرى ، حتى يحين موعد (بارنز آند نوبل) ولقاءاتى المسائية بـ (جى جى) ..

كان شعورى بأن (روبير) هذا يظهر غير ما يبطن فى ازدياد يومًا بعد يوم ، إنه مجرد نصاب من الدرجة الأولى يريد الفوز بقلب الفتاة الجميلة وبأموال عائلتها الثرية فى الوقت نفسه ، أراهن أننى لو تتبعت خطاه لوجدته يسكن منطقة حقيرة ، ويتوق إلى لحظة امتلاك القصر المطل على مشهد تمثال الحرية من بعيد ، أو على الأقل لحظة دخول

هذا القصر كواحد من أفراد الأسرة ، غير أنى لم أملك ترف مراقبته حتى الآن بسبب موعد (جى جى) المقدس ، الذى سيدفعنى إلى الخطوة الحتمية فى خطتى الجهنمية المنقوصة ، دخول القصر أعنى ..

واليوم يا عزيزتى (مروة) ، اليوم فقط ، نجحت فى دخول القصر !

هذا سر شعورى بالظفر ، وسر الأدرينالين المتدفق فى عروقى ، فأنا عائدة من هناك قبل قليل ، وأشعر أنى قد اقتربت كثيرًا من شىء ما لا زلت أجهله !

هكذا بدأت القصة ..

ليلة أمس ، وبينما (جى جى) تواصل ممارسة هوايتها فى توصيلى بسيارة الأجرة إلى غرفتى أولاً ، أصررت على دعوتها لدخول غرفتى بإلحاح مصرى صميم ، لم تستطع أمامه إلا أن تلين ، ورغم أنى قد لمحت خيبة أمل ممتزجة بالإشفاق فى عينيها اللتين مسحتا غرفتى بسرعة الضوء ، إلا أن كرمى الزائد معها جعل دعوتها لى فى نهاية اللقاء حتميًا :

ـ ستأتى لتناول الغداء معى غدًا ..

قالتها (جى جى) فخفق قلبى بقوة خارقة ، وأنا أسأل فى تقمص فاشل للغباء :

ـ أين ؟!

ـ فى منزلى بالطبع ، العنوان هو ...

كدت أهتف فيها أنى أحفظه عن ظهر قلب ، غير أنى تماسكت حتى لا أنكشف فى لحظة انفعال حمقاء ، وعدت أتظاهر بالتهذيب :

ـ أخشى أن أسبب لك إزعاجًا ، أنا أقيم وحدى أما أنتِ فلا بد أنك تقيمين مع أسرة و ...

ـ لا تخشى شيئًا ، سنكون بمفردنا تمامًا ، كل واحد فى منزلى يغنى على ليلاه !

وهكذا يا عزيزتى (مروة) استيقظت فى الصباح ممتلئة بالانتعاش وبالتألق ، ارتديت أفضل ثيابى ووضعت عطرًا ونسقت شعرى ومسحت زجاج نظارتى ، ثم أقلتنى سيارة الأجرة إلى هناك فى الساعة الواحدة ظهرًا ، أى بعد خروج (جلال البحراوى) من القصر كما هو مفترض ..

هو الوحيد الذى رآنى ، وهو الوحيد الذى يمكنه أن يكشفنى ..

نظر إلى حارس البوابة مقطبًا ، وكاد يهتف فى وجهى مرغيًا ومزبدًا ، غير أنى عاجلته :

ـ لدى موعد مع السيدة (جى جى) .. أقصد (جيهان) .. (جيهان نصيف) ..

انعقد حاجبا الرجل أكثر وهو ينظر فى ورقة معلقة على الجدار أمامه ، فقلت فى تأكيد :

ـ أدعى (نسرين) .. (نسرين الجبالى) !

لم أفطن لخطئى إلا بعدها ، عندما نظر إلى بعينين كاويتين وهو يسألنى مصححًا :

ـ (نسرين فاروق) ؟!

هززت رأسى فى قوة وأنا أقول :

ـ أجل ، أنا هى .. (نسرين فاروق) ..

ومددت يدى بجواز سفرى إليه ، فنظر فيه وقلبه بين كفيه مليًا ، قبل أن يشير لى ضاغطًا زر فتح البوابة ، ولم ينبس ببنت شفة ..

لعنت غبائى فى سرى وأنا أجتاز البوابة ، ودعوت الله ألا يكون فى نطقى لاسمى الذى يعرفه (جلال) أى مشكلات مقبلة ، غير أنى رميت كل شىء وراء ظهرى وأنا أحدق فى المنزل من الداخل ، فلم أر حتى الآن ثراء وأناقة وبذخ إلى هذا الحد يا عزيزتى (مروة) ..

لن أصف لك القصر ، فهو يحتاج إلى سلسلة خطابات منفصلة لذلك ، سأصف لك فقط استقبال (جى جى) المرحب ، واصطحابها إياى إلى المطبخ لأساعدها فى إعداد الغداء ، وقد دخل علينا ابنها (عاصم) الصغير وطلبت منه (جى جى) أن يسلم على عمته (نسرين) ففعل بآلية قبل أن يغادر آخذاً بعض الدولارات من والدته عن طريق الابتزاز العاطفى ، ثم ظهرت الحسناء (إحسان) الصغيرة بملابسها الرياضية متجهة إلى صالة الألعاب الرياضية فمنحتها والدتها بعض الدولارات دون أن تطلب ..

خرجت من دعوة اليوم يا عزيزتى (مروة) بنتيجتين هامتين :

الأولى: (جيهان) إنسانة ذات معدن نفيس ، لا تستحق الزواج بوغد مثل (جلال) وانتسبت بطريق الخطأ إلى هذه

العائلة الموبوءة والموصومة بالعار ، لمست ذلك فى أكثر من لحظة اقتراب منها اليوم ، بالذات وهى تدعونى لتناول الطعام بكرم مصرى حقيقى وأصيل ..

الثانية: يجب أن أعرف ما تحويه الخزانة المغلقة بأرقام سرية فى غرفة نوم (جلال البحراوى) و(جيهان نصيف) !

كيف عرفت بوجودها أصلاً؟!

بسيطة !

بعد انتهاء طعام الغداء ، كان لزامًا على أن أتجه إلى الحمام لأغسل يدى ، قادتنى (جى جى) إلى هناك وطلبت منى ببسمة مودة أن آخذ راحتى ، وأن أوافيها بعد الانتهاء فى المطبخ إن كنت لن أتوه فى الطريق إلى هناك ..

أغلقت الباب على ، ثم فتحته ، ونظرت يمنة ويسرة فلم أجد أحدًا هناك يمكنه رؤيتى ، وهكذا اتخذت طريقى على الفور إلى السلم الصاعد نحو غرف النوم بالأعلى ، ودلفت إلى الغرفة ذات الباب المفتوح لأجدها غرفة نوم رئيسية ، مكونة من سرير واسع مع خوانين ، فوق أحدهما صورة لزفاف (جلال) و(جيهان) ، وصوان كبير ، وخزانة قابعة فى الركن ..

اقتربت من الخزانة وأنا ألهث ، وصوت فى عقلى يصرخ بأن ضالتى المنشودة لا بد أن تكون داخل هذا المكعب المعدنى المغلق فى إحكام بأرقام سرية ..

لم أحاول فتحها حتى ، لكن فكرة ما ضربت رأسى كبرق مفاجئ ..

وعليه فقد غادرت الغرفة إلى المطبخ ، والفكرة فى رأسى تتبلور ..

وتتبلور !

هناك نتيجة ثالثة تبدو أقرب إلى ملاحظة منها إلى نتيجة ، لم أر (إحسان) الكبيرة حتى الآن ، لم تخرج مع زوجها (عاصم) الكبير للتريض طوال الأيام الماضية ، ولا يبدو لها أثر فى المنزل ، ربما كانت مريضة ، وربما ألف احتمال آخر ..

من غير الطبيعى أن أسأل (جى جى) عنها ؛ لذا فقد نفضت الأمر عن رأسى مؤقتًا ، واكتفيت بالتركيز على الفكرة التى تتبلور فى رأسى أكثر فأكثر ..

شردت أكثر من مرة بينما (جى جى) توجه حديثها إلى ، وعند الثامنة طلبت العودة إلى غرفتى فأبت (جى جى) إلا أن توصلنى بسيارتها (البيتلز) السوداء ..

شكرتها عندما هبطت أمام البناية على كل شىء ، وكنت صادقة فى شكرى لها إلى أبعد الحدود..

فور مضيها بسيارتها مبتعدة شعرت بأنى خفيفة كريشة ، وبأن الحياة تستحق أن تعاش ، وقررت مكافأة نفسى بالاتجاه إلى أقرب كابينة هاتف .. طلبت رقم هاتف (هشام) المحمول ، وفور سماعى لصوته ينطق (آلو) أغلقت السماعة ، وكررت الأمر مع هاتف أبى المحمول لكنه لم يرد ، وتمنيت لو أن معى هاتف السيد (س) لأفعل معه نفس الأمر ، لكنى تذكرت نظريتى التى تفترض أن السيد (س) ليس إلا شخصية خيالية تسكن أعماقى السوداء ، لكنى لست على استعداد لكثير من الفلسفة فى هذه الليلة بالذات ، بالإضافة إلى أن ورائى مكالمة أخرى ..

وأخيرة ..

المكالمة الأخرى والأخيرة كانت الأهم ..

مكالمتى لـ (جارنر) ، وطلبى للقائه فى المكان الذى يحدده بخصوص عمل جديد ..

ـ غدًا فى نفس نادى الكوميديا بـ (مانهاتن) ، الثامنة مساء .. هل يناسبك هذا ؟!

ـ يناسبنى تمامًا !

سأقابله غدًا إذن يا عزيزتى (مروة) ، وعندها سأطلب منه أن ...

أعتقد أنى قد أطلت عليك أكثر من اللازم هذه المرة بالذات ، لكن اعذرينى ، فهى بارقة الأمل الأخيرة فى ليل مغامرتى المدلهم ..

سأكتب لك مرة أخرى ..

متى ؟!

أين ؟!

كيف؟!

لا أدرى ، فالأيام القادمة ستحمل الكثير من التغيرات حتمًا ..

انتظرى منى إذن خطابًا آخر إذن ، وحتى لحظتها :

إلى اللقاء ..

صديقتك

نسرين

★ ★ ★

الرابع

عزيزتى (مروة) ..

أى دوامة تلك التى دفعت نفسى إليها ؟!

أى كارثة أنا مقبلة عليها الآن ؟!

أكتب لك والقلم يرتعش فى يدى ، من مقهى (ستار بكس) الذى أدمنت الجلوس عليه طوال الأيام المنصرمة ، وكنت خلالها أراقب حسناء (بروكلين) المراهقة وفتاها الطويل القامة ، الأزرق العينين ، الفاتح البشرة ، والأشقر الشعر ..

الساعة الآن قد تجاوزت العاشرة مساء..

الحسناء وفتاها غير موجودين ، وأنا منزوية فى الركن وقد تعطلت ماكينة عقلى تمامًا عن التفكير فى أى خطوة مجدية ..

كسرت اليوم قواعد الخروج من غرفتى ليلا ، فى الحقيقة أنا غير قادرة على العودة إليها أصلا ، فالشرطة تحاصر مدخلها ومدخل البناية ، والتليفزيون المعلق فى

سقف المقهى يعرض تقريرًا إخباريًا على القناة الرابعة يتضمن صورتى مرسومة بقلم رصاص - رسمها فنان جنائى محترف - كمطلوبة لدى السلطات ، بل وهناك مكافأة لمن يستدل على أيضًا !

الأدهى أننى رفضت قبل قليل فرصتى الأخيرة للهروب من كل ما ألقيت نفسى فى براثنه ، رفضتها بعنف عصبى يثبت حقًا كم أنا مجنونة أستحق كل ما يحدث لى ، وأكثر !!

كارثة ..

وأى كارثة !

بدأت المأساة فى اليوم التالى لإرسالى خطابى الفائت إليك يا عزيزتى ، بل أستطيع القول أنها قد بدأت قبلها بالفكرة المجنونة التى ضربت رأسى كبرق مفاجئ ، أو كإعصار (تسونامى) الرهيب ، وأنا مدعوة على الغداء فى قصر آل (البحراوى) ، بالتحديد أكثر بعد أن رأيت تلك الخزانة المشئومة ..

فى ركن منزو من نادى الكوميديا نظر إلى السيد (جارنر) وقد توقف عن أخذ أنفاس السيجار منذ بدأت فى التحدث ، وكانت نظراته تليق بمن يراقب ظاهرة غريبة تحدث أمامه ..

بعد فراغى من إخراج ما فى جعبتى ظل يحدق بى كأنه يحاول التمييز إن كنت أهذى أو أتحدث بمنطق عقلانى حقًا ، إلى أن دفعته للحديث بسؤالى :

- هل يمكن تنفيذ هذا يا سيد (جارنر) ؟! أعتقد أنك تملك إجابة ما ، بخبرتك فى هذا العالم ..

قال (جارنر) محاولاً التحفظ قدر استطاعته :

- ومن أخبرك أننى خبير فى عالم اللصوص يا سيدتى ؟!

نطقها بالأمريكية (مام) ، فقلت مبتسمة فى خبث متحمس :

- لا تأخذ الأمر على محمل شخصى يا سيد (جارنر) !

- دعينى أفكر فى الأمر بصوت مرتفع يا سيدتى ..

قالها (جارنر) ، ثم أخفض صوته إلى أقصى حد ممكن بحيث يمكننى الاستمرار فى سماعه :

ـ أنت تطلبين منى أن أدلك على شخص يمكنه أن يتسلل إلى قصر خاص فى موقع متميز من مرتفعات (بروكلين) ، هذا القصر تحيط به أسوار عالية وعليه حراسة دائمة ، ومهمة هذا الشخص أن يسرق محتويات خزانة مغلقة بأرقام سرية فى غرفة نوم.. هل ما قلته دقيق ؟!

هززت رأسى :

ـ منتهى الدقة !

صمت (جارنر) كأنما أعياه البحث عن رد مناسب ، وتوقعت منه أى شىء إلا أن يهديه التفكير لسؤالى فى هدوء ثابت الجنان :

ـ ولماذا أنا بالذات ؟!

ـ لأنك الوحيد الذى أعرفه هنا يا سيدى.. أليس هذا سببًا كافيًا ؟!

ـ أنا لا أدعى أنه يمكننى مساعدتك فى أمر كهذا خارج على القانون ، لكن .. هل تعلمين كم يمكن أن يكلفك العثور على شخص كهذا ؟!

أحب عملية الأمريكان واختصارهم للوقت والدخول فى قلب الموضوع مباشرة ..

قلت فى ثقة :

ـ سأمنحه عشرة آلاف دولار ، شريطة ألا يسرق أى نقود من الخزانة ، وأن يأتينى بما عدا ذلك ، هل يكفى هذا ؟!

نفث (جارنر) دخان سيجاره ، وبدا التردد على وجهه فى جلاء ..

ـ أنت ذكى بما فيه الكفاية لتعرف أننى لست عميلة فيدرالية أو من الخدمة السرية يا سيد (جارنر) ، وأعتقد أنك قد تحريت عنى بما يكفى قبل أن تقبل بمهمتى السابقة ..

ـ هذا صحيح نسبيًا ..

ـ ما قولك إذن؟!

أجابنى هازًا كتفيه وإن ظل حذرًا فى انتقاء ألفاظه :

ـ ليس أقل من ضعف المبلغ لو أردت رأيى ..

ـ اتفقنا .. النصف قبل العملية والنصف بعد إتمامها ..

كان هذا كل ما أملكه من نقود فى رحلتى ، لكنى كنت على استعداد مرضى للمقامرة ..

ـ لاحظ أن السرعة عامل مهم يا سيدى ، متى يمكن أن يتم هذا الأمر ؟!

ـ قابلينى هنا غدًا ، فى نفس الموعد ..

ونهض (جارنر) دون أن ينطق بكلمة زائدة ..

أقلتنى سيارة الأجرة عبر جسر (بروكلين) ، وأنا أفكر فى أننى سوف أخلف موعد (جى جى) اليوم وغدًا ، وربما إلى الأبد..

لقد أدت مهمتها بالنسبة لى وانتهى أمرها ..

ورقة واحترقت !

فى اليوم التالى كنت أجلس فى نادى الكوميديا قبل موعدى بنصف ساعة كاملة ، حاملة حقيبة تحوى العشرة آلاف دولار ، نصف المبلغ الذى حولته من (مصر) إلى حساب فتحته فى بنك (سيتى) هنا فى (بروكلين) ، وأنا

أضرب بقدمى الأرض فى توتر ، وأنقل بصرى بين باب النادى وساعة معصمى فى ترقب ..

فى الموعد المحدد تمامًا ، الثامنة مساء بالدقيقة ؛ وصل (جارنر) بوجهه وجسده وملامحه الذى يستحق كل منهم على حدة نعت الضخامة عن استحقاق ، وخلف (جارنر) سار كائن كالح البشرة خفيف الشعر ضئيل الجسد ، يرتدى معطفًا أسود فوق بذلة كاملة غير مهندمة ، ويحمل حقيبة سوداء مما يحمل أصحاب الياقات البيضاء فى البورصة مثلاً ، ولاحظت أثرًا لجرح قطعى غائر تمت خياطته بوضوح على امتداد الجانب الأيسر لوجهه الناحل ..

لم يستوعب خيالى بسهولة أن يكون شخصًا كهذا هو :

ـ (كيفن) ، من يفترض به أن يقوم بالمهمة يا سيدتى ..

ـ أهلاً ..

قالها (كيفن) وهو يومئ برأسه نحوى ، فبادلته الإيماءة وأنا أجاهد لهضم المفاجأة ، الواقع أننى منذ وطأت بقدمى أرض هذا العالم الجديد والمفاجآت تأبى أن تتركنى لحالى..

- (كيفن) ، هذه عميلتك الجديدة ..

- لا يحتاج الأمر لقنطار من الفراسة حتى يدرك المرء ذلك !

قالها (كيفن) فى صوت يشبه فحيح الأفعى الضاحكة ، كاشفًا عن صفين من الأسنان الصفراء المسودة ، فازداد خوفى على المبلغ الفاحش الذى أحمله أضعافًا مضاعفة ..

- السيد (كيفن) هو من يفترض أن يقوم بالمهمة؟!

قال (جارنر) وقد فشل فى منع بسمة من الطفو على مياه وجهه :

- سيدهشك ما يمكن أن يقوم به السيد (كيفن) يا سيدتى ..

يحاول (جارنر) أن يستخدم ألفاظًا محايدة تجعله فى مأمن فى حالة إذا ما كنت أسجل له ما يقول ، غير أن (كيفن) بدا على النقيض تمامًا وهو يهتف فى حماس أقلقنى ، وجعلنى أنظر يمنة ويسرة بحثًا عمن قد يسمعنا :

- محتويات الخزانة ستكون لديك هنا فى نفس الموعد بعد ثمان وأربعين ساعة فقط ..

ترددت مليًا قبل أن أسأله :

- وفى حالة فشل العملية ؟!

أجاب عنه (جارنر) :

- الأعراف واضحة فى هذا الصدد ، يضيع مقدم الأتعاب وينكر كل طرف علاقته بالأمر ..

الكرة فى ملعبى إذن ..

لم أكن مستعدة للتراجع ، فرفعت الحقيبة إلى المنضدة ، وفتحتها ليبدو وجه (جورج واشنطن) الأخضر على الوريقات الشهية ، فسال لعاب (كيفن) بينما نهض (جارنر) قائلا فى جمود :

- اتفقنا ، نلتقى هنا بعد يومين..

- تذكرا ، لا سرقة للنقود ، أريد أوراق العمل فقط ..

- هذا مفهوم قطعًا ..

قالها (جارنر) ثم انصرف مشعلاً سيجاره الضخم ، وخلفه (كيفن) الذى أغلق الحقيبة وتبعه فى خطوات واسعة تشبه الهرولة ..

كان أمامى يومان من التسكع ، وقد قررت استثمارهما بطريقة مثالية ..

فى تلك الليلة دخلت فيلمًا سينمائيًا لم يعجبنى ، وفى الصباح التالى توجهت إلى (ستار بكس) لأتناول القهوة وأقرأ الصحيفة وأنتظر الحسناء (إحسان) الصغيرة وفتاها (روبير) ، لكنهما لم يظهرا ، وعندما نظرت فى ساعتى ووجدتها الواحدة ظهرًا تقريبًا ، قررت ممارسة بعض الجنون المفيد أحيانًا ، والمهلك دائمًا ..

صحت فى سائق سيارة الأجرة التى اندسست فيها :

- (مانهاتن) من فضلك ..

- أين بالتحديد ؟!

- نادى (رولنجز) للقمار ..

أجل يا عزيزتى (مروة) ، إنه النادى الذى يقضى فيه (جلال البحراوى) يومه حتى المساء لينفق دولارات البنوك بسخاء ، حسبما ورد فى تقرير (جارنر) ، قبل أن يتجه للجارسونيرة الخاصة به مع نسائه اللانهائيات ..

لماذا ذهبت إلى هناك ؟!

إنه الجنون المدفوع بقوة مجهولة يا عزيزتى ، ظننت هذا أوضح من أن أفسره ..

استجمعت شجاعتى وأنا أقف على الرصيف الواسع المزدحم بالمارة فى ظهيرة (نيويورك) ، أراقب الدراجات الصاعدة إلى واجهة المحل الزجاجية العاكسة ، ثم جررت قدمى جرًا نحو الباب المغلق ، ودفعته بيدى ودخلت ..

انتقلت آنيًا إلى عالم آخر ، الإضاءة الشحيحة ورائحة الكحول وهمهمات المتحلقين حول الطاولات وضجيج دوران (الروليت) وطرقعة ماكينات ألعاب الحظ ، عالم لم أكن أتصور وجوده إلا فى أفلام السينما ، ألجه الآن بعينين ذاهلتين وقدمين متجمدتين ..

انتبهت على الباب يفتح من خلفى ، فابتعدت عن طريق الداخلين وانتحيت بنفسى ركنًا قصيًا عند طاولة البار ، محاولة البحث بعينى عن هدفى ، وقبل أن أجده سمعت نادل المشرب يسألنى :

- (سكوتش) يا آنسة ؟!

ـ كلا ، أريد مشروبًا خاليًا من الكحوليات ..

ـ كولا بالكرز؟!

ـ فليكن ..

ناولنى كوبًا ضخمًا ممتلئًا بالسائل الوردى ، وعدت أبحث بعينى عن هدفى ، حتى رأيته يتكئ بمرفقيه عند طاولة (روليت) قريبة ، فابتعدت بوجهى عن مجال رؤيته ، وأخذت أراقبه فى المرآة التى تعكس كل ما يدور فى الصالة بجوارى ، من زاوية لا يستطيع رؤيتى منها ..

عينا (جلال البحراوى) كانتا غارقتان فى الحمرة ، وبيده كأس من شراب كحولى قوى ، وبجواره محترفة شقراء تتكئ بكوعها على ظهره فى دلال ، وتداعب خصلات شعره بميوعة ، وكلما توقفت دائرة (الروليت) عن دورانها ارتسم التأفف على وجهه المنتفخ ، وربتت الشقراء على ظهره لتهون عليه ..

ما جدوى وجودى هاهنا ؟!

لا شىء ، هذا ما قلته لنفسى وقتها كأنى (كولومبس) فى لحظة اكتشافه لأرض عالم جديد ، وقررت أن أستفيد بوجودى فى هذا المكان قدر استطاعتى ..

كيف؟ !

كلا ، لم أذهب لمواجهة (جلال) فلست حمقاء لدرجة إفساد كل شىء بعد بلوغى هذا الحد ، وإنما فكرت وقررت: ذكر فى تقرير (جارنر) عنوان شقة (جلال) التى يذهب إليها فى المعتاد بعد أن ينهى ساعاته هنا ، ويمكننى أن أذهب لإلقاء نظرة عليها من الخارج ..

بم يمكن أن يفيدنى هذا ؟!

لا أعلم ، اسألى جنونى إن كان سيجيبك !

سألت واستدللت على العنوان ووجدته على مبعدة شارعين فقط ، بناية متوسطة الارتفاع تشغل الشقة طابقها الرابع ، تجاوزت مدخلها وانتظرت أحد المصعدين الهابطين ، وعندما أضاء المؤشر دلالة وصول أحدهما انفتح بابه قبل أن أفتحه واندفع منه شخص جمدنى مرآه فى وقفتى ..

إنه الفتى الآرى طويل القامة ..

إنه (روبير) !

ماذا كان يفعل هنا ؟!

هل ... ؟!

ضعى السؤال الذى تريدينه يا عزيزتى (مروة) ، أما أنا فما أن استعدت صوابى حتى اندفعت خلفه إلى الشارع ، لأجده قد ذاب تمامًا فى الزحام !

وقفت أنهث ، وما زال عقلى حتى هذه اللحظة عاجزًا عن إدراك الموقف أو ربط شذراته المتفرقة ، لكنى حاولت تجاوز الأمر وصعدت إلى الطابق الرابع فعلاً ، لأرى باب الشقة مغلقًا فى استكانة ، طرقته فلم يفتح أحد ..

أبعدت عن رأسى تمامًا فكرة التسلل إلى داخل الشقة عبر باب أو نافذة ، فلم أكن أنوى الذهاب إلى قسم الشرطة بتهمة اقتحام أو سرقة ؛ لذا فقد حملت نفسى إلى الخارج وجبت شوارع التفاحة الكبيرة على غير هدى ، تناولت غدائى فى مطعم صينى ، ثم اندسست فى سيارة أجرة أقلتنى إلى عنوان غرفتى فى (بروكلين) قبل الغروب بقليل ، ولدهشتى ، وجدت سيارة (بيتلز) سوداء تربض أمام مدخل البناية ..

هل ... ؟!

ضعى السؤال الذى تريدينه مرة أخرى يا عزيزتى ، أما أنا فقد هرولت إلى غرفتى لأرى (جى جى) واقفة أمام باب شقة (هيلدا) المفتوح وهى تسألها عنى ..

بمجرد أن رأتنى (هيلدا) أشارت إلى ، وهتفت :

ـ ها هى ذى ..

وأغلقت الباب فى وجه (جى جى) على الفور ، غير أن الأخيرة لم تلق لها بالاً ، واستدارت تنظر إلى لأقرأ فى عينيها الواهنتين آثار ماء وملح وهم عميق ..

ـ (جى جى) ؟!

تمتمت بها فى دهشة ، واقتربت هى منى قائلة كأنها تكابد ألمًا مبرحًا :

ـ لا صديقات لى هنا ، أنتِ الوحيدة التى فكرت أن آتى إليها بعدما حدث اليوم ..

قلت فى اهتمام لم أكن فى حاجة إلى تصنعه :

ـ ما الذى حدث؟!

نظرت إلى الأرض ، وارتجفت يداها ، فاقتربت منها وأمسكت بإحدى اليدين لأقودها إلى غرفتى متابعة :

ـ انتظرى ، لا تتحدثى الآن ..

وبمجرد أن انغلق الباب علينا ، انهارت (جى جى) فوق سريرى الذى لم أكن قد رتبته بعد استيقاظى هذا الصباح ، وانفتح على الفور صنبور الدمع فى مقلتيها الحزينتين ، فلم

أشعر بنفسى إلا متورطة فى التعاطف معها ، وأخذت أربت على كتفيها وأحاول التهوين عن مأساتها التى لم أعرفها بعد ..

أعنى مآسيها !

ـ حاولى أن تهدئى يا (جى جى) وأخبرينى .. ما الذى حدث ؟! ربما تستريحين لو أخرجتى ما فى صدرك ..

ألقت (جى جى) بقنبلتها من بين عبراتها :

ـ (إحسان) ابنتى ، لقد هربت يا (نسرين) !

هتفت فى استنكار :

ـ ماذا ؟! هربت ؟!

ـ أجل ، مع شاب استطاع أن يخدعها ..

صدقت معلومات (جارنر) مرة أخرى إذن ، وصدق حدسى أيضًا ..

ـ وكيف عرفتِ بهذا الأمر ؟! أعنى .. من أخبرك بأنها قد هربت ؟! ألا يحتمل أن تعود مع نهاية اليوم أو أن ... ؟!

قاطعتنى (جى جى) وهى تخرج من حقيبة يدها الصغيرة وريقة مطوية تمدها إلى ، وقد فقدت السيطرة على مشاعرها كلية :

ـ لقد تركت رسالة تشرح فيها كل شىء ، (إحسان) ابنتى لن تعود مثل جدتها يا (نسرين) !

لن تعود مثل جدتها ؟!

ـ ماذا تعنين ؟!

سألتها رغمًا عن شعورى بأن السؤال ربما لا يكون متناسبًا مع أشجانها ، لكنها مع ذلك فسرت :

ـ المرأة الكبيرة مختفية منذ أكثر من أسبوع ، لا أحد يعرف إلى أين ذهبت ولا أحد اهتم بالسؤال عنها ، أو حتى بتبليغ الشرطة .. هذا ما سيحدث مع ابنتى أيضًا !

أى عائلة غريبة هذه ؟!

ترى أين ذهبت المرأة الكبيرة التى كانت تخرج لمرافقة زوجها ـ أحيانًا ـ فى نزهة ما بعد الظهيرة سيرًا على الأقدام ؟!

كانت (جى جى) تنهار بمعنى الكلمة وهى تواصل نواحها وقولها :

ـ وليت الأمر انتهى عند هذا الحد ..

أهناك المزيد ؟!

سألتها بعينى دون أن أجرؤ على النطق وأنا أقض الخطاب وأقرأ ما كتبته (إحسان) الصغيرة بالإنجليزية المنمقة التى يجيد الكتابة بها طلبة مدارس الثانوية الإنجليزية لدينا فى مصر (كنا نعرفهم من خط اليد أثناء دراستنا فى الكلية لو تذكرين يا عزيزتى) ، وبينما تجرى عيونى على سطوره بسرعة أجابت (جى جى) سؤالى الصامت بصوتها الباكى :

ـ حاولت الاتصال بوالدها دون جدوى ، إنه فى عمله اليومى بـ (مانهاتن) ، ولا يرد على هاتفه المحمول ، حاولت إخبار جدها والد زوجى فلم يحرك ساكنًا كأنه مغيب فى عالم آخر ، إخوته أيضًا أعمام زوجى لم يبد أى منهم اهتمامًا يذكر ، كدت أجن ولجأت إلى أقرب الأقربين إلى وإليها ، أعنى شقيقها الأصغر (عاصم) ، كان فى غرفته ، على سريره عندما دخلت ورأيت الكارثة بعينى هاتين ، بعينى هاتين يا (نسرين) ..

كانت (إحسان) الصغيرة قد كتبت مخاطبة والدتها معتذرة إن كانت ستسبب لها ألمًا ، لكنها لم تعد تطيق الحياة فى عائلة كهذه ، وستهرب مع ..

(روبير) ! .

« شاب تعرفت عليه وأحببته ، إنه غير طامع فى أموال أسرتى وسنسافر معًا إلى بلاد أخرى ، لنبدأ فصلاً جديدًا من الحياة معًا ، الحياة الحقيقية التى لا أعيشها بينكم يا أمى »

هكذا كتبت الفتاة بالحرف الواحد ..

كانت (جى جى) تسرد فصلاً جديدًا من مأساتها التى تفجرت اليوم كبركان ثائر :

ـ وجدت (عاصم) منهمكًا فى استنشاق بودرة بيضاء يا (نسرين) .. ذهلت لوهلة قبل أن أعى الحقيقة المفزعة.. ابنى مدمن للكوكايين .. ابنى أنا مدمن للكوكايين وهو لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره بعد !

أخشى أن أثقل شعورى لحظتها يا عزيزتى (مروة) حتى لا تتهمينني بالشماتة ، لكنى لا أستطيع الإنكار أنه كان شعورًا غامرًا بتحقق العدالة الإلهية على الأقل ..

ها هى عائلة (البحراوى) التى أفسدت فى الأرض ، وسطت على أموال المودعين ، تتمزق بين اختفاء الجدة ، وذهول الجد ، وعزوف أشقائه ، وانحلال ابنه ، وإدمان حفيده ، وهروب حفيدته ، ودموع (جى جى) التى لا ذنب لها إلا أنها جاورت نافخ الكير فأصابت منه ريحًا خبيثة ، لكن الضربة أتتها فى صميم فؤادها المكلوم ، أتتها فى ابنها وابنتها ..

احتضنتها فى إشفاق حقيقى ، وكدت أعتبر المهمة منتهية بل وراودتنى فكرة مباغتة فى العودة إلى (القاهرة) على أول طائرة ، والاكتفاء بهذا العقاب الذى أنزلته السماء على الباغين فى الأرض ، غير أن هاتف (جى جى) رن فجأة فى حقيبة يدها ، فتركتنى وردت وهى تغالب دموعها وتشفط الماء المنسكب عبر أنفها ..

ـ آلو.. أجل .. ماذا ؟! حقًا؟! متى ؟! أنا آتية فى الحال .. سآتى على الفور.. إلى اللقاء ..

هكذا كانت المكالمة سريعة ومقتضبة ، وهكذا نهضت (جى جى) على الفور حاملة حقيبتها التى أخرجت منها منديلا ورقيًا وتمخطت فيه بعنف قبل أن تقول :

ـ يجب أن أعود إلى المنزل على الفور ..

سألتها مقطبة :

ـ خيرًا !

ـ هاتفنى الآن (رافت) أحد أعمام زوجى المقيمين معنا فى القصر ، يقول أن أحدهم قد تسلل إلى غرفة نومى وسرق الخزانة فى وجودهم جميعًا دون أن يشعروا به !

رباه ..

بهذه السرعة؟!

يبدو أن (كيفن) هذا ماهر حقًا ، ويبدو أننى لم أقدره حق قدره ..

سألتها وأنا أقدم كلمة وأؤخر أخرى :

ـ وهل .. كان فى الـ .. خزانة ما .. تخشين عليه ؟!

قالت وهى تنظر إلى الباب الذى أقف بينها وبينه ، متنهدة فى حسرة :

ـ نقود ومجوهرات ثمينة ، لكنها ليست أثمن مما فقدته اليوم بأى حال ..

عدت أسألها بإلحاح :

ـ فقط ؟!

ـ ماذا تقصدين؟!

ـ ألا يحتفظ زوجك فيها بأوراقه المهمة مثلاً ؟!

ـ بلى ، ولكن .. هل يهمك أمرها إلى هذا الحد؟!

ـ كلا طبعًا ، أردت فقط أن أطمئن على أنك لن تفقدى المزيد من الأشياء المهمة اليوم !

بدت عبارتى غاية فى السوء والابتذال ، لكنى لم أنتبه إلى ذلك إلا بعد قولى لها بالفعل ، فلم يعد التراجع ممكنا بأى حال ..

غادرت (جى جى) الغرفة مسرعة على وعد بلقاء قريب عندما تتحسن الأحوال ، واستلقيت أنا على السرير أفكر فى الخطوة القادمة كالمعتاد ..

موعد لقائى المفترض مع (جارنر) و(كيفن) غدا ، سيعطوننى الأمانة وأحملها معى إلى (القاهرة) فى طائرة بعد غد لأدرسها على مهل ، ومعنى هذا أن يومين فقط تبقيا لى هنا فى هذه المدينة الخاوية من الدفء ..

هل كان يجب أن أبقى حتى أشاهد انهيار العائلة فيرتاح قلبى ؟!

ربما ، لكنى لم أكن أعرف ما هو مخبوء لى وقتها وأنا مستلقية على سريرى أفكر ..

فى صباح اليوم التالى خففت السير إلى (ستار بكس) ، وأخذت من هناك نسخة من جريدة (يو إس إيه توداى) الصباحية ، ليطالعنى أحد عناوينها الداخلية بما قذف فى قلبى الرعب ..

حادث سطو على قصر فى (بروكلين) وسكانه فى الداخل .

القبض على السارق منتصف ليلة أمس ..

وهناك صورة بالأبيض والأسود لـ (كيفن) من سجل اعتقال سابق فى قسم الشرطة وهو يحمل مستطيلا أبيض مدون عليه رقمه ، والتفاصيل شنيعة بكل ما تحمله الكلمة من معنى ..

لقد أبلغ السكان عن حادث السرقة فور اكتشافهم لها فى المساء ، وقامت الشرطة بالتعاون مع المعمل الجنائى بفحص مسرح الجريمة ، وتم الاستدلال على أسلوب أحد المسجلين خطر ويدعى (كيفن دورفمان) ، وبالبحث عنه تم ضبطه فى منزله ، وتم اقتياده إلى مبنى الشرطة ليدلى باعتراف مفصل ..

اعترف (كيفن) أن الجريمة قد تمت بإيعاز من فتاة فى العشرينيات تنتمى إلى منطقة الشرق الأوسط حسب تخمينه ، عن طريق وسيط يدعى (جارنر متشيل) لم يتم العثور عليه وهو مختف منذ ليلة أمس ، والشرطة الآن تبحث عن هذه الفتاة وعن الوسيط للحصول على المزيد من المعلومات حول دافع السرقة الذى يفتقر السارق إلى معرفته ، غير أن الشرطة تشك فى كون الفتاة مصرية بالنظر إلى جذور ساكنى القصر المصريى الأصل ..

لم يكن هذا كل شيء ، فالمسروقات التى تضمنت نقودًا ومجوهرات ومستندات مهمة لم يتم العثور عليها بحوزة (كيفن) ، وقد أفاد بأنه فور خروجه من القصر واتجاهه إلى مسكنه قابله شخص غامض فى شارع مظلم ، وكال له اللكمات والركلات قبل أن يستولى على الحقيبة التى تحوى المسروقات ويختفى تاركًا إياه ملقى على إسفلت الشارع مضرجًا فى دمه ، وعندما استطاع أن يتحامل على نفسه عاد إلى منزله ليفاجأ بالشرطة لديه بعدها بقليل ، والشرطة تحقق فى مصداقية قوله غير أن توقيع الكشف الطبى عليه يفيد بوجود كدمات وسحجات وكسر فى الأنف جراء ضرب عنيف تعرض له منذ أقل من ٢٤ ساعة ..

ما خلصت إليه لحظتها هو البساطة نفسها: إنهم يبحثون عنى الآن ، وهى مسألة وقت فحسب حتى أجدهم فوق رأسى ..

نهضت دون أن أكمل القهوة ، واتجهت إلى أقرب كابينة هاتف عمومى زجاجية ، حاولت الاتصال برقم هاتف (جارنر) الذى هاتفته عليه من (مصر) ، فرن الجرس طويلاً دون رد ، وفى النهاية تم إغلاق الهاتف من الأصل ..

تذكرت ما قاله (جارنر) ردًا على سؤالى :

ـ وفى حالة فشل العملية ؟!

ـ الأعراف واضحة فى هذا الصدد ، يضيع مقدم الأتعاب وينكر كل طرف علاقته بالأمر ..

شملنى رعب لا يقل عما يشملنى الآن وأنا أكتب لك يا عزيزتى (مروة) ، وسرت فى شوارع الحى تحت شمس الظهيرة أحاول استجماع أفكارى ، حتى بلغت جسر (بروكلين) ووقفت أرقب المحيط الممتد إلى ما لا نهاية؛ وأنا أفكر فى لا شيء ..

عندما انكسرت الشمس فى رحلة الغروب كنت قد قررت العودة وجمع حاجياتى والاتجاه إلى المطار لاستقلال أول طائرة عائدة إلى (مصر) ، غير أن الرياح أتت بما لا تشتهى السفن ..

كنت داخل سيارة الأجرة عندما لمحت مدخل البناية وسيارة الشرطة بشعار NYPD على جانبها وبلونيها الأبيض والأزرق رابضة أمامه ، وهناك شرطى يقف بجوار السيارة مراقبًا المكان والآخر يتحدث عند المدخل مع شخص لا أراه ..

ـ أنزلنى فى نهاية الشارع من فضلك ..

وفى نهاية الشارع هبطت من السيارة ، وسرت الهوينى مختبئة خلف السيارات الرابضة على جانب الطريق ، لألمح

الشرطى الثانى يتحدث عند المدخل مع (هيلدا) التى تشير بيدها إلى نافذة غرفتى المطلة على الشارع ، وأدركت فى أى مأزق أنا الآن ..

لقد استطاعوا الاستدلال على ، وهم ينتظرون عودتى ، وللأسف فأنا غير مستعدة لتسليم نفسى فى أرض غريبة ، غير مستعدة لهذا على الإطلاق ..

أسرعت بالابتعاد ، وفى أول كابينة هاتف فى الشارع المجاور عاودت محاولة الاتصال بـ (جارنر) دون جدوى ، ولما وضعت السماعة فى يأس ، فوجئت بالهاتف يرن أمامى لأصرخ أنا فى فزع ..

تذكرت أن بإمكانك هنا فى الولايات أن تتحدث من هاتفك على أى رقم هاتف عمومى على أن تتحمل أنت قيمة المكالمة ، ورغم أن الهاتف ليس لى حسبما يفرض المنطق ، إلا أننى رفعت السماعة ببطء وقلبى الذى يخفق كألف مطرقة يراودنى عن حلم بعيد ..

ـ آلو ..

ـ مرحبًا ، يا صغيرتى !

ـ السيد (س) ؟!

صحت بها فى انفعال جارف ، كأنى عثرت على طوق نجاتى فى خضم عاصفة هوجاء ..

ـ أنا هو ، أعتقد أنى قد حضرت فى الوقت المناسب كالمعتاد ..

ـ بل متأخرًا جدًا على غير عادتك ..

ـ لم أكن أنوى الظهور لولا أنك وضعت نفسك فى هذا المأزق يا فتاة .. متى تتعلمين ألا تبدئى شيئًا لا تستطيعين إنهاءه ؟!

قررت ألا أضيع مزيدًا من الوقت فى تفاهات :

ـ هل أنت من هاجم (كيفن) ؟!

ـ لا تحاولى أن تبدى ذكية ، ولا تضيعى وقتك فى مزيد من التفاهات ..

كأنه يقرأ أفكارى ..

بل ..

كأنه أنا !!!

ـ تعالى بسرعة إلى محطة مترو الأنفاق Borough Hall فى قلب المدينة ، إن هناك مدخلا لمترو الأنفاق بجوار كابينة الهاتف كما أرى ..

نظرت خارج الكابينة الزجاجية لأرى مدخل المترو بالفعل ، ونظرت إلى نوافذ المبانى المطلة على الكابينة من جهتى الشارع فى مشهد شبيه بنظرات (ويل فاريل) إلى النوافذ نفسها فى فيلم Phone Booth أو (كابينة الهاتف) لـ (جول شوماخر) ، لكن أحدًا لا يوجه إلى صدرى شعاع تصويب ليزرى هنا لحسن الحظ ، بل هى عناية ملائكية ما زلت أجهل كنهها ، ولا تظهر إلا فى صوت أجش عبر الهاتف ، كأن صاحبه يتعمد تغييره ..

ـ هل ستكون هناك ؟!

ـ ربما ..

وأغلق الهاتف ..

أقلنى مترو الأنفاق إلى المحطة إياها فى أقل من الربع ساعة ، وهناك أخذت أنظر فى زحام البشر يمنة ويسرة ، ولما تعبت جلس على مقعد انتظار بلاستيكى مريح ، عاقدة ساعدى ، وناظرة إلى الأرض كأنى أفكر !

ـ مساء الخير يا آنسة (نسرين) ..

صوت رفيع ، حاد ، لزج ، يتحدث بالعربية ، ورائحة التبغ تملأ الهواء المحيط بأنفى فجأة !

التفت إلى مصدر الصوت وقد هالنى سماعه ، ورأيته واقفًا إلى جوارى تمامًا بنفس الملامح التى رأيته بها فى مغامرتى السابقة ..

ـ أنت؟! هنا فى (بروكلين) ؟!

ـ أنا حيث يريدنى موكلى أن أكون ، يا صغيرتى ؟!

إنه (سبعاوى أبو الحمد السبعاوى) محامى السيد (س) المزعوم يا عزيزتى (مروة) ، كان قد أنقذنى من الموت فى مغامرتى السابقة عندما التقينا فى مقهى (بيكرى) ، وقد زرته قبل سفرى بيومين فى مكتبه فى منطقة (الشيخ رمضان) بحى (شبرا) ، والغريب أن نفس هيئته التى رأيته عليها هناك هى التى أراه عليها هنا فى الطرف الآخر من العالم !

القامة القصيرة جدًا ، الرأس الأصلع ، الأنف الطويل ، العينين الحادتين ، البذلة بلون القهوة باللبن ، بالفرنسية café au lait، البذلة الكالحة ورابطة العنق المزركشة المربوطة فى غير عناية ، وحقيبة الجلد الأسود الذى تمزق فى غير موضع بيده ، وحتى البسمة الممستفزة المشعة براحة التبغ على شفتيه الرفيعتين إلى حد التلاشى ..

كان هذا يمثل ضغطًا عصبيًا لا أستطيع تحمله ، خاصة وهو يجلس على المقعد بجوارى ويتابع :

- يبدو أن مرآى يخيب ظنك دائمًا ..

ثم إنه أخرج السيجار الضخم من جيب سترته الداخلى ، ليقضم طرفه ثم يبصقه بقوة ، وأشعله بنفس القداحة الصينية الرخيصة ، ثم سحب نفسًا ونفثه فى الهواء ، ليشعرنى بأن كل ما حولى ليس إلا فانتازيا لا واقعية ..

- ماذا تريد منى هذه المرة ؟!

- ما أنا إلا رسول ، وما على الرسول إلا حمل الأمانات إلى أهلها ..

وفتح حقيبته المتهالكة ليخرج منها مظروفًا ورقيًا ممتلئًا ومغلفًا بكيس من البلاستيك ، متابعًا :

- أمسكى هذا ..

قلت دون أن أمد يدى :

- وما هذا ؟!

- محتويات خزينة آل (البحراوى) ، نقود ومجوهرات ومستندات ..

- السيد (س) أخذها من (كيفن) إذن ..

- لا وقت لطرح الأسئلة فما بالك بإعطاء إجابات؟!

- ماذا تعنى؟!

قال ويده ما تزال ممدودة بالمظروف داخل الكيس ، بينما اليد الأخرى الممسكة بالسيجار تشير إلى التليفزيون المعلق فى سقف محطة المترو :

- فى خلال وقت قصير سيذيع التليفزيون اسمك وأوصافك وستنقلب الولاية وربما الولايات المجاورة كلها رأسًا على عقب بحثًا عنك ، لن يمكنك الاختباء صدقينى ..

- وبم سيفيدنى هذا المظروف ؟!

- أنت الذى سعيت للحصول عليه من البداية حسب علمى ..

- أعنى بم سيفيدنى إن كنت سأقع فى يد الشرطة فى النهاية ؟!

- هذه قصة أخرى ..

قالها واضعًا المظروف على المسافة بين مقعدينا ، ومادًا يده الحرة إلى جيب بذلته ليخرج منه تذكرة سفر على خطوط الطيران الملكية الهولندية KLM ومعها جواز سفر

أخضر بعلامة النسر الذهبى على غلافه ، ثم إنه واصل ما قطعه :

ـ هذه تذكرة على طائرة منتصف الليل المتجهة إلى (القاهرة) عبر ترانزيت مدته تسع ساعات فى (أمستردام) ، أما هذا فجواز سفر صالح للتنقلات..

فتحت جواز السفر فوجدت فيه صورتى مع بيانات مختلفة تمامًا عنى ، من الاسم حتى لون العينين ..

وسيلة هروب مضمونة مع وضع الوقت فى الاعتبار ..

أمسكت بالتذكرة والجواز فى قبضتى ، ونظرت مقطبة إلى (سبعاوى) قبل أن أسأله :

ـ أهذا كل شىء؟!

ـ أجل ، هذا كل شىء ..

ـ أريد أن أسألك سؤالا على أن تجيبنى عنه بصراحة يا سيد (سبعاوى) ..

ـ سلى ..

ـ من هو السيد (س) ؟!

بسمة لزجة ودخان سيجار وصمت ..

ـ دعنى أطرحه عليك بصورة أكثر وضوحًا: هل السيد (س) هو .. أنا ؟!

بسمة لزجة تتسع ودخان سيجار يتكاثف ، وصمت ..

وأخيرًا قال (سبعاوى) :

ـ اقتربت كثيرًا .. يا صغيرتى ..

ـ من هاجم (كيفن) وأخذ منه المسروقات إذن ؟! أأكون أنا فى شخصيتى الأخرى ؟!

كنت أهمهم كمن تهذى فى نوبة حمى ، أما (سبعاوى) فقد هز كتفيه ، وقال :

ـ ليس هذا وقتًا مناسبًا لكشف ستر الغموض !!

ـ تبًا للغموض ..

صحت فيه بانفعال جذب انتباه كل رواد المحطة القلائل ، ونهضت كالملتاثة وأنا أقذف بالجواز والتذكرة والمظروف فى وجه (سبعاوى) :

ـ .. وتبًا للسيد (س) ، وتبًا لك يا (سبعاوى) ، وتبًا لى أنا أيضًا ..

سقطت التذكرة مع الجواز والمظروف فوق الأرض الرخامية للمحطة ، وتداخل صياحى الرفيع بينما أسرع نحو سلالم المحطة لأغادرها مع هدير وصول قطار جديد ، بينما (سبعاوى) يبتسم كأن كل ما يحدث لا يمت له بصلة ..

قبل أن أرتقى درجات السلم نظرت إلى حيث يجلس ، وأقسم لك يا عزيزتى (مروة) أننى رأيت المقعد الذى كان يجلس عليه (سبعاوى) شاغرًا ، لا يجلس عليه أحد ..

جنون وهذيان ؟!

ربما ..

وربما استطاع أن يقفز داخل القطار بسرعة ، من يدرى ؟!

المهم أننى الآن أجلس داخل (ستار بكس) وهو على وشك الإغلاق ، أكتب لك سطور خطابى الأخيرة ، أعض أصابع الندم على عدم إطاعتى لـ (سبعاوى) ، وعلى استسلامى لنوبة الرفض غير المفهوم ..

لا أدرى أين سأقضى ليلتى بعد أن أضعت فرصة الهروب ، ولا أدرى ما الذى سيحدث بعد أن تحققت نبوءة (سبعاوى) وأذاع التليفزيون قبل قليل صورتى مع اسمى (نسرين فاروق) الذى حصلوا عليه من (روبن) ، السمسار الذى وقعت عقد تأجير الغرفة معه ..

القارة الأمريكية تضيق على بما برحت ، ويبدو أن الساعات القادمة ستكون الأحلك فى تاريخ حياتى القصيرة ..

إلى اللقاء يا (مروة) ، وادع لى أن أخرج من هذه البلاد سالمة ..

حتى نلتقى ..

صديقتك

نسرين

★ ★ ★

الخامس لولو

عزيزتى (مروة) ..

أكتب لك الآن بعد عدة ساعات من كتابتى لخطابى السابق ، وأنا واقفة على الحد الفاصل بين الحلم والحقيقة ..

بين الواقع والخيال ..

إن كنتُ قد فقدت عقلى فأخبرينى ، وإن كنتِ لن تصدقى حرفًا مما حدث فسأتفهم الموضوع قطعًا ، فأنا نفسى ما زلت عاجزة عن التصديق أو الإفاقة من سكرة ما حدث ..

كنت آخر من غادر (ستار بكس) فى الثانية عشرة ليلا يا عزيزتى ، وكانت شوارع (بروكلين) خاوية على عروشها ، ونسمات الليل التى تدغدغ البدن بالقشعريرة هى نفس النسمات التى تبث فى القلب وجلا ، والظلام الذى لا تبدده أضواء أعمدة الإنارة يجعل من فتاة تسير وحدها هدفًا سهلا لكثير من العيون الذئبية المحدقة ..

المشكلة كانت أنى لا أعرف أين أذهب ، ولا أدرى لنفسى طريقًا أسلكه ، تائهة وغريبة فى قلب مكان غريب ، كل ما أمكننى فعله هو تحاشى المرور بجوار دورية شرطة ، والاختباء فى مدخل بناية إذا مرت إحدى السيارات ، لكن هذا لم يكن ليستمر إلى الأبد يا عزيزتى ..

وجدت نفسى فجأة فى ذلك الشارع الجانبى الضيق ، الذى تفوح منه رائحة القمامة عبر صندوقين ضخمين فى نهايته ، هذان الصندوقان مستندان على جسر من الأسلاك المعدنية التى تفصل منطقة عن أخرى ، ومواء القطط يبث فى قلبى مزيدًا من الرعب بالإضافة إلى ظلى الممتد على إسفلت الشارع ، وعامود الإنارة الأخير يبتعد عنى ، ويبتعد ، ويبتعد مع كل خطوة أخطوها نحو مصيرى المجهول ..

فجأة رأيتهم ، كأنهم قد برزوا من اللامكان ..

كنوا مختبئين خلف الجانب الذى لا أراه من صندوق القمامة الأخير ، وقد برزوا مع اقتراب صوت خطواتى منهم بالتأكيد ..

كانوا أربعة ، زنجيين وأشقر وآسيوى ، يرتدون ملابس قذرة والأوساخ تعلو وجوههم ولحاهم المغبرة ، إنهم من

يطلقون عليهم المتسكعين بلا مأوى أو homeless فى تعبير من كلمة إنجليزية واحدة ، وهم فى المعتاد شرسون حادون ومتوحشون ..

قال الأشقر باسمًا وعيناه تبرقان ، إذ تمسحاتى من قدمى إلى رأسى :

ـ هالولويا .. انظروا ماذا لدينا هنا يا رفاق ؟!

قال الزنجى الأول وهم يتقدمون نحوى بينما حاولت أنا التراجع خطوة :

ـ قطة شاردة فى ليل أسود ..

قال الزنجى الثانى وهم ما برحوا يقتربون :

ـ كيف تأمن غدر الكلاب أو الذئاب؟!

ولوح الآسيوى القصير بيديه قائلا فى بسمة صفراء بلون جلده :

ـ تعالى إلى يا حبيبتى .. تعالى ..

كنت أحاول التراجع أكثر عندما هجم على الأشقر ، وأمسك بذراعى ليجذبنى نحوه ، وتكالب الآخرون على

فأيقنت أننى قد انتهيت لا محالة رغم محاولاتى للصراخ وطلب نجدة دون جدوى ..

قطة وسط قطيع من الذئاب الجائعة ، ماذا يمكن أن تكون النتيجة ؟!

سأنتحر بعد أن ينالوا منى ما يريدونه بالتأكيد !

غير أن ...

ـ توقفوا ..

دوى الهتاف الأجش من الناحية التى كانوا يقفون فيها عند صندوق القمامة ، فتوقفوا بالفعل ، ونظروا نحو الصوت ، وكذلك فعلت دون أن يذوى الرعب من فوق ملامحى ، ودون أن يفلت الأشقر ذراعى ..

ـ من هذا ؟!

صاح أحدهم ، وصاح آخر فى عدوانية :

ـ اذهب بعيدًا يا صاح بدلا من أن تنال ما لا ترضى ..

ورغم الهلع الذى انتابنى نظرت إلى الرجل المتدثر بالظلام محاولة استجلاء ملامحه دون جدوى ، وغمغمت سائلة نفسى سؤالا مبتورًا :

- أيمكن أن...؟!

- اتركوها لشأنها ..

ضحك الأشقر الممسك بذراعى فى تهكم ، وقال :

- ومن تكون أنت يا صاح؟! (سوبر مان) أم (باتمان) ؟!

عاد الرجل المتدثر بالظل يصيح :

- اتركوها لشأنها ، لن أكررها مرة أخرى ..

قال أحد الزنوج متقدمًا منه فى عصبية :

- يبدو أنك فى حاجة لدرس تتعلم منه كيف تعامل أبناء الليل أيها الـ ...

وأطلق سبة نابية ، وعندما دنا من الرجل الغامض صاحب الصوت الأجش اتسعت عيناى وأنا أرى الأخير ينهال عليه بلكمتين ساحقتين فجرت الدماء فى وجهه ، ثم إنه حمله بيديه العاريتين وألقاه فى داخل صندوق القمامة الذى يقف بجواره ..

توتر الجو ، وقبض الأشقر على يدى أكثر بينما الزنجى الآخر يتقدم من الرجل الغامض هادرًا فى غضب ، فاستقبله

الرجل بركلة فى وجهه على طريقة مقاتلى (الكونغ فو) ، ثم بسيف يده انهال على رقبته ليحطمها ، وألقاه أخيرًا بعنف نحو أسلاك الجسر التى اهتزت بعنف قبل أن يسقط الزنجى الثانى أسفلها ..

عدت أغمغم دون أن أبالى بقبضة الأشقر التى تعتصر ذراعى اعتصارًا :

- رباه ، أيمكن أن...؟!

ورأيت الآسيوى يخرج آلة حادة من جيب بنطاله ويلوح بها فى وجه الرجل الغامض الذى بدا ثابت الجنان إلى حد مخيف ، وتناورا فى نصف دائرة قبل أن ينهال الآسيوى على الرجل بخفة مسددًا سلاحه ، غير أن قبضة الرجل أوقفته بحدة ، واعتصر قبضته حتى أسقطت الآلة ، ثم إنه أمسك برأس الآسيوى وضربها بحائط المبنى المجاور ، لتنفجر بالدم ويسقط الآسيوى بعدها هامدًا بلا حراك ..

لم يبق إلا الأشقر الممسك بذراعى ، والذى وعى الدرس جيدًا على ما يبدو ، فأخرج سكينًا بدوره ووضعه على رقبتى هاتفًا فى ذعر وهو يكبل حركتى من الخلف :

ـ رائع ، أنت أحد الأبطال الخارقين إذن ممن ينقذون النساء فى الليل ، لكنك لن تستطيع إنقاذها صدقنى ..

اقترب الرجل الغامض خطوتين ، واستطعت تمييز قبعة (الكاوبوى) على رأسه ومعطف المخبر (كولومبو) الشهير الذى يرتديه ، وقد وضع يديه فى جيب بنطاله هاتفًا بصوته الأجش :

ـ اتركها ..

صاح الأشقر فى ذعر :

ـ أخرج يدك من جيبك وتوقف عن الاقتراب ..

قال الرجل الغامض :

ـ اتركها واتج بحياتك ..

كان الذعر قد بلغ من الأشقر مبلغه ، فطاش صوابه وهو يهتف ، وقد شعرت بالسكين يلامس جلد عنقى ويستعد لنحرى بلا رحمة :

ـ بل سأقتلها أمامك حتى ...

ولم يكمل عبارته ، إذ أخرج الرجل الغامض مسدسًا وجهه على الفور إلى يد الأشقر الممسكة بالسكين ، وبدقة

مذهلة أصابت الرصاصة السكين وجزء من يد الأشقر على مبعدة ملليمترات من عنقى ، فصاح الأخير فى ألم قبل أن تعاجله الرصاصة الثانية ..

فى رأسه مباشرة ..

وخر بعدها جثة هامدة ..

هكذا وقفت أخيرًا فى مواجهة الرجل الغامض الذى لم أتبين ملامحه ، أتحسس عنقى كأنى لا أصدق أنه نجا من الذبح ، وهو يمسك بالمسدس الذى لا زال الدخان يتصاعد من ماسورته ، وبيننا أربع أجساد ما بين فاقد للوعى ، وفاقد للحياة ..

كانت عيناى متسعتين وأنا أحدق فيه ، وأراه كما كنت أراه فى أحلامى دومًا ..

هل هو حقًا ؟!

هل هو السيد (س) حقًا ؟!

بعد كل هذا العناء نلتقى هنا ؟!

فى (بروكلين) ؟!

أم إنه مجرد حلم آخر من أحلامى التى سأصحو منها طال الأمد أو قصر ؟!

كانت عيناى متسعتين وأنا أغمغم :

ـ أنت ؟!

كأنى أخشى من نطق اسمه ، وقد أعاد هو المسدس إلى جيب معطفه ، وقال فى اقتضاب يليق بسمته الغامض المتسربل بالظل :

ـ اتبعينى ..

سرت خلفه كالمنومة مغناطيسيًا ، أحاول اللحاق بخطواته الواسعة التى تشبه الحجل ، كأنه يعرج فى مشيته !

اجتزنا عدة شوارع خالية فى عتم الليل ، لا أرى أمامى إلا مؤخرة رأسه وقبعته وأطراف معطفه ومشيته شبه العرجاء ، ودلف فى النهاية إلى مدخل بناية قديمة ، فتبعته ، وعبر السلالم المتهالكة صعد إلى الطابق السادس ، وأنا خلفه ، ثم فتح بابًا ودخل ، فدخلت ، وأغلقت الباب ..

إنها غرفة ، تشبه غرفتى التى كنت أسكنها ، سرير مرتب ومنضدة عليها أباجورة مضاءة ، وقد وقف هو خلف

مصدر الضوء بحيث أعجز عن استبيان ملامحه بوضوح ، وهناك أيضًا نافذة وحيدة يغطيها ستارين شفافين ..

وقفت أحاول النظر إليه والضوء بيننا ، وقلت فى النهاية ما استغرقت فى إعداده فى رأسى طوال الطريق إلى هنا :

ـ أنت السيد (س) .. أليس كذلك؟!

جاوبنى صمته ، فتابعت كأنه أجاب بالإيجاب :

ـ ها نحن نتقابل أخيرًا إذن ..

قال كأنه لم يسمع ما قلته :

ـ اقتنصى فرصتك الأخيرة ..

ـ أريد اقتناص فرصتى الحقيقية للتعرف بالرجل الذى يعرف عنى كل شىء فى حين أجهل عنه كل شىء ..

قلتها عاقدة ساعدى أمام صدرى فى تحد ساذج ، فقال :

ـ لا وقت ، فالموقف يزداد حرجًا ..

ـ تريدنى أن أفوت فرصة التعارف إذن ..

فوجئت به يقول :

ـ إنك لا تجهلينني إلى هذا الحد ..

ـ أحياناً أظن أنني أعرفك أكثر مما أعرف نفسي ، باعتبارك جزء من نفسي .. هل تحب أن تسمع هذه النظرية العجيبة ؟!

ـ ستظل كل الاحتمالات متاحة ، والأفضل من وجهة نظري أن يتمتع الإنسان بجنة الجهلاء أفضل من الاحتراق في جحيم المعرفة ..

صحت وقد فاض بي :

ـ لكني أريد أن أعرف ..

ـ سيحدث ، في يوم من الأيام القريبة أو البعيدة سوف تعرفين كل شيء ..

ـ تبعاً لنظريتي العجيبة فأنا مجنونة ربما تكون في محاورة مع نفسها الآن ، ولن أكتشف الحقيقة إلا وأنا متنثرة بمعطف أبيض في مصحة أمراض نفسية وعصبية !

ـ سوف تعرفين كل شيء .. في وقته .. وفي ذلك الوقت ستتمنى لو أنك لم تعرفي أي شيء !

صحت في إصرار :

ـ أريد أن أعرف .. الآن !

ـ دعيني أمنحك الاختيار إذن ..

ورفع يده بغتة ، فانفتحت النافذة الوحيدة في الغرفة بقوة وارتفعت الستائر الشفافة بدفع الهواء البارد الذي دخل فجأة ، ووجدتني أسير نحو النافذة كالمجذوبة ، أو كأني محمولة فوق الأثير ..

وقفت مستندة بكفي على الإفريز ، ونظرت إلى الشارع بالأسفل ، الشارع الذي يبدو ضيقاً من مسافة ستة طوابق ، ومن خلفي كان الصوت الأجش يقول :

ـ اقفزي الآن ، وستعرفين كل شيء!

غمغمت ذاهلة :

ـ أقفز ؟!

ـ اقفزي الآن ، وستعرفين ..

ـ سأموت ..

ـ وستعيشين .. الاختيار لك يا صغيرتي ..

ألقى بنفسى من هنا حتى أعرف ؟!

أى اختيار هذا ؟!

ظللت واقفة أرمق الشارع الخالى فى الأسفل بنظرات رعب رهيبة ، حتى أتانى صوته من خلفى أخيرًا :

ـ أعتقد أنك قد اخترتى بالفعل ..

استدرت أواجهه :

ـ ماذا تعنى ؟!

فوجدته أمامى تمامًا ، وعلى الضوء الشحيح المنبعث من الخارج استطعت أن ألمح عينيه المشعتين بضوء قوى ، بينما وجهه محاط بشرائط من الشاش الأبيض لتخفى معالمه تمامًا ..

ـ أعنى أننا سنتقابل مرة أخرى ، وعندها ربما تعرفين عنى أكثر ..

واستدار نحو الباب ، ففتحه ببطء وغادر ..

مرت دقائق ، قبل أن أسمع وقع خطواته فى الشارع بالأسفل ، وعبر النافذة رأيته يسير الهوينى حتى اختفى وراء بناية قريبة ، دون أن يرفع رأسه مرة وينظر إلىّ ..

كلا يا عزيزتى (مروة) ، لم يكن هذا مجرد حلم من أحلامى المعتادة ..

ولا مجرد كابوس من كوابيسى المعتادة أيضًا ..

ما حدث كان حقيقة عشتها لحظة بلحظة ، وأستطيع الآن أن أزعم أننى قد قابلت السيد (س) وجهًا لوجه ، رغم أناقة نظرية الفصام التى حدثتك عنها مسبقًا ..

بمجرد استعادتى لأعصابى جلست على المنضدة ، وفكرت فى الكتابة إليك على الفور ..

كان على أن أبحث عن ورق وقلم ، فاتجهت إلى الخوان ذى الأدراج الثلاثة المجاور للسرير ، فتحت الدرج الأول فوجدت المظروف المغلف بالبلاستيك الذى أراد (سبعاوى) إعطاءه لى فى محطة مترو الأنفاق ، وفى الدرج الثانى وجدت تذكرة سفر بتاريخ الغد ومعها جواز السفر بالبيانات الملفقة ، وفى الدرج الثالث وجدت الأوراق والقلم الذى أكتب به ، بالإضافة إلى هاتف محمول به خط يعمل ، وعلى أحد الأوراق هناك رقم مكتوب بالقلم ومعه اسم (كريم لاشين) باللغة العربية ..

أكتب لك الآن يا عزيزتى (مروة) وأضواء الفجر تلوح فى السماء عبر النافذة المفتوحة ، وأمامى المظروف والتذكرة وجواز السفر والهاتف المحمول ورقم (كريم لاشين) الذى لا أعرفه أمامى على المنضدة ، أحاول تجاوز ما حدث والتركيز على ما سيحدث ..

أشعر أن النهاية قد اقتربت كثيرًا على يد (كريم لاشين) هذا ..

كيف ؟!

هذا ما سأكتشفه عندما أهاتفه بعد قليل ..

انتظرى منى خطابًا آخر يا عزيزتى (مروة) إن كان فى العمر بقية ..

صديقتك

نسرين

★ ★ ★

السادس

عزيزتى (مروة) ..

أكتب لك هذا الخطاب الأخير من مطار (أمستردام) حيث أقضى ساعات الترانزيت قبل وصولى إلى (القاهرة) ، أخيرًا نجحت فى مغادرة (نيويورك) قبل ساعات وبطريقة شرعية تمامًا ، إن (كريم لاشين) هذا كان أكثر فائدة مما ظننت ، فعن طريقه عرفت كل ما كان ينقصنى معرفته ، واستكملت كل قطع ناقص فى لعبة (البازل) الكبيرة التى كنت أمثل جزءًا منها ..

كان أول ما فعلته بعد انتهائى من كتابة خطابى السابق إليك هو طلب الرقم المدون أمامى على المنضدة بخط السيد (س) نفسه غالبًا ، رغم غياب توقيعه المعتاد..

فى الواقع كان من المفروض أن أتصل بـ (كريم) هذا قبل أن أكتب إليك ، لكنى كنت فى أمس الحاجة لجلسة البوح هذه حتى أستعيد توازنى النفسى قبل دخولى فى المرحلة الأخيرة من المغامرة ..

أو أن هذا ما كنت أرجوه على الأقل ..

رد على صوت مكتوم :

ـ آلو ..

ـ السيد (كريم لاشين) ؟!

ـ من معى؟!

لم يكن صوتًا نائمًا بقدر ما كان متحفظًا ، وقد قررت أن أكون صريحة إلى أقصى حد :

ـ معك (نسرين الجبالى) .. (نسرين فاروق الجبالى) !

أتانى هتافه السؤال محملا بأقصى قدر من الاهتمام :

ـ الصحفية؟!

ـ هى بعينها ..

ـ أين أنت ؟! إن شرطة الولاية تبحث عنك منذ الصباح ..

ـ أريد أن أعرف مع من أتحدث أولاً ..

ـ ظننتك تعرفين ..

ـ ليس كل الظن إثم !

ـ أنا (كريم لاشين) ، ضابط مصرى يعمل لدى جهة أمنية عليا ، وأقيم حاليًا فى (نيويورك) لدواعى مهمة سرية ..

تساءلت فى شك عظيم :

ـ وهل ضباط الجهات الأمنية العليا يصرحون هكذا لكل من هب ودب بأنهم يعملون فى مهام سرية حاليًا ؟!

أجابنى فى مرح مباغت :

ـ إن مهمتى السرية هذه تنتهى بالعثور عليك يا آنسة (نسرين) !

قطبت وسألته :

ـ ما معنى هذا ؟!

ـ أعطنى عنوانك وسآتى إليك لأشرح كل شىء ..

اكتشفت أنى لا أعرف العنوان ، لكنى نظرت عبر النافذة وأعطيته أسماء متاجر قريبة وماركات إعلانية واضحة فوق أسطح البنايات فوعدنى بالمجىء فى خلال عشر دقائق ..

وقد كان ..

كان يقود سيارة (فورد) صغيرة ، وقد هتفت فى دهشة عارمة فور دخولى السيارة ورؤيتى له :

ـ من؟! (روبير) ؟!

كان هو (روبير) بملامحه الآرية وقامته الممشوقة وبسمته الواثقة ، لكنه يتحدث بالعربية بلهجة مصرية صميمة ، ويقول :

ـ نعم ، لهذا قصة طويلة سأرويها لك فى الطريق ..

ـ إلى أين؟!

ـ إلى (واشنطن دى سى) حيث تقع السفارة المصرية يا عزيزتى !

وفى الطريق الطويل كان الحديث مفعمًا بالشجون ..

إن (كريم لاشين) نصف مصرى ونصف ألمانى كما روى لى ، وهو من مزدوجى الجنسية الذين تستفيد بهم الجهات الأمنية المصرية العليا فى مهامها خارج الحدود ، وكانت مهمته المحددة هى الاقتراب من عائلة (البحراوى) ومحاولة اختراقهم من الداخل حتى تعود الأموال المنهوبة إلى البلاد ، وحتى يجد طريقة للإيقاع بهم والعودة لينالوا محاكمة عادلة عن كل جرائم الفساد والتربح والتزوير والتدليس ـ ومؤخرًا قتل الأستاذ (هلال رضا) ـ التى ارتكبوها قبل هروبهم الجماعى ..

سألته :

ـ ولماذا لم يتم التفاوض معهم بطريقة علنية واضحة فى البداية ؟!

فأجابنى :

ـ تمت عدة محاولات للاتصال بهم ، وكلما كان الأب (عاصم البحراوى) يلين ويبدأ فى مشاورة أشقائه فى التوصل إلى تسوية مع البنوك والحكومة المصرية ، كان ابنه (جلال) يرفض ويهدد ويغلق كل الأبواب التى يمكن فتحها ، وهكذا وصلنا معه إلى طريق مسدود ، خاصة أن الجميع رضخوا لجنونه صاغرين ، وهناك تقارير تفيد أنه يدس لوالده السم البطىء فى الطعام بانتظام حتى يسيطر على مقادير الثروة بمفرده فى النهاية !

يا للوحشية !

روى لى (كريم) أيضًا أن خطته السرية كانت تتضمن دخول الشخصية المصطنعة (روبير) حياة (إحسان) المراهقة الصغيرة واستمالة قلبها ، ذلك حتى يكون قريبًا دائمًا من موقع الأحداث ، وقد كانوا يخططون من جهتهم لأخذ ما يمكن أخذه من خزانة (جلال) فى غرفة نومه قبل أن أظهر فجأة ، وأقوم بهذا الدور نيابة عنهم ..

كانوا يراقبوننى ، هكذا قال (كريم) ، ولم يحاولوا التدخل لمنعى ؛ إذ ربما أكون مفيدة على طرف من الأطراف ، ويوم سرقة (كيفن) لمحتويات الخزانة كان (كريم) هو من تصدى له فى الشارع الجانبى وأخذ الحقيبة وأشبعه ضربًا !

ـ أنت ؟!

- أجل ..

- كيف وصلت محتوياتها إلى إذن ؟!

- كنت سأطرح عليك هذا السؤال ، فالحقيبة سرقت من سيارتى هذه فى صباح اليوم التالى ، وقد هشم السارق زجاجها بقسوة !

- غريب !

روى لى (كريم) أيضًا عن المفاجأة الكبرى ، الأم الكبرى (إحسان) لم تختف ، وإنما ضاقت ذرعًا بتصرفات ابنها وخذلان زوجها لها فاتصلت بالسفارة من جهتها سرًا وعرضت التعاون ، وبالطبع رحبوا هم بهذا ، وعن طريق البحر قاموا بتهريبها من القصر كما طلبت ؛ حتى لا تقع عين أحد عليها فيكشفون سرها ، وقد أسهمت بالكثير من المعلومات القيمة فى القضية بدورها ، ولم يبق أمام الجهات الأمريكية إلا التحركات الأخيرة ..

(جلال البحراوى) فى قبضتهم الآن ، فقد دسوا عليه امرأة شقراء ناعمة (هى من رأيتها معه فى نادى القمار بحسب الوصف) كانت تعمل لصالحهم ، استطاعت تخديره فى شقته وقاموا بعدها بنقله فى صندوق خشبى إلى سيارة شحن ليلا ، وهو الآن ضيف السفارة المصرية فى

(واشنطن) حيث نحن ذاهبان ، ويتم الإعداد لترحيله إلى (مصر) غدًا على طائرة خاصة ..

(عاصم البحراوى) الكبير تلقى مكالمة هاتفية من (إحسان) زوجته فى (القاهرة) ، فقد سافرت منذ أيام لأنها لم تستطع البقاء فى الولايات المتحدة أكثر من هذا ، وقد نصحته بالتسليم والتفاوض ، ومن الأمس بدأت هذه العملية بعد سرقة الخزانة مباشرة ، سيجرون فحصًا طبيًا على (عاصم) اليوم للتأكد من حكاية السم البطىء هذه ، وسيتم استضافة الأشقاء فى السفارة ، وسترحل العائلة إلى (مصر) لينال أفرادها المتورطون محاكمة قضائية عادلة ، أما ممتلكاتها هنا فسوف تعرض للبيع حتى يتم تسديد القروض البنكية المنهوبة ..

بقى الأبرياء ، (عاصم) الصغير الذى سينال علاجًا من الإدمان على يد متخصصين فى (مصر) تحت رعاية والدته التى قررت خوض هذه الحرب (جيهان نصيف) ، وبقيت الحسناء الصغيرة ..

- ألا تشعر بالذنب أنك تلاعبت بمشاعرها فى سبيل تحقيق غرض وإن كان وطنيًا؟!

- ألم تشعرى أنت بالذنب وأنت تتلاعبين بمشاعر السيدة (جيهان) لتحقيق غرض شخصى ؟!

- الأمران مختلفان ..

- لكن المشاعر واحدة ..

- لن تعلم (جيهان) بأنى كنت أخدعها للوصول إلى غرضى ، أما أنت فسوف تتسبب فى عقدة لـ (إحسان) الصغيرة نحو الرجال لن تنساها بسهولة ، كيف يمكن أن تنسى فتاة أن شابًا قد خدعها لكى يوقع بعائلتها ؟!

- ومن قال أنى كنت أخدعها ؟!

- ماذا تعنى؟!

- لقد أحببتها بالفعل ، وسنتزوج فور إنهائها لتعليمها الجامعى ، هكذا اتفقنا ..

وأخبرنى أنها قد جاءته لتخبره أنها تريد الهرب معه من حياتها فى القفص الذهبى لعائلتها ، فصارحها بغرضه الحقيقى من تمثيلية الحب هذه ، وكيف أنها انقلبت فى قلبه إلى حب حقيقى ، وقد عادت حسناء (بروكلين) بالأمس إلى المنزل بعد أن أقنعها أنه من الأفضل أن تكون بجوار والدتها فى الأزمة المقبلة ، وأن الاتصال لن ينقطع بينهما أبدًا ؛ لأنهما سيظلان لبعضهما ..

ابتسمت عندما استخدم لقبها ، فقال مبادلنى البسمة بأخرى :

- هذا هو اسم العملية الكودى بالمناسبة ، حسناء (بروكلين) !

وفى السفارة لاقيت ترحيبًا دافئًا وشعرت بالأمان الجميل إذ أطأ بقدمى أرضًا مصرية ، وقد همست فى أذن (كريم) أسأله عن وضعى القانونى الآن ، وهل كونى مطلوبة لدى السلطات الأمريكية سيحول دون سفرى آمنة أم لا ، فقال ممسكًا بتذكرتى وجواز سفرى ذى البيانات المضروبة :

- الاحتياط واجب.. الأفضل أن تسافرى بهويتك البديلة هذه ، ومع قليل من التغيير فى هيئتك سنضع لك صورة أخرى حتى لا يسهل التعرف عليك ، النصيحة التى أود توجيهها إليك هو ألا تعودى إلى الولايات المتحدة قريبًا لأى سبب كان ..

لن أفعل ، هذا ما قلته فى سرى ..

وفى مساء الأمس ، بعد ساعات نوم طويلة ، كنت أجتاز بوابة مطار (واشنطن) ، بجواز سفرى الذى يحمل اسم (حسناء أمين) ، وهأنذا فى مطار (أمستردام) الآن أحدق فى الزجاج العاكس أمامى فى ملامحى البديلة ، شعرى الأسود الطويل ، وعيناىَ الزرقاوين ، وشفاهى المرسومة بأحمر الشفاه الذى لا أتذكر أنى وضعته من قبل سوى فى يوم خطبتى على (هشام) ..

وعلى ذكره ، فقد هاتفته قبل قليل يا عزيزتى (مروة) من هنا ، وأتانى صوته محملا بشوق جارف :

- أوحشتينى للغاية ..

- وأنت أيضًا ..

وتحدثنا لنصف ساعة كاملة على حسابى الشخصى ، المعلومة الغريبة التى لا زالت تدق مساميرها فى رأسى هو ما أخبرنى عنه (هشام) بشأن البصمة التى وجدت أسفل ثلاجة منزل الأستاذ (هلال رضا) فى مغامرتى السابقة ، فقد ذكر شيئًا عن أن هذه البصمة تتطابق مع إحدى بصماتى ..

كيف ؟!

لا أعرف ، سأعرف التفاصيل منه حين أعود ، وربما تكون هذه تفاصيل مغامرتى القادمة ..

من يدرى ؟!

ربما !

بالنسبة لأبى فهو لا يرد على هاتفى ، أعلم أنه ما زال غاضبًا منى ، وسأعاتى حتى أحصل على رضاه مرة أخرى ، لكنى على أتم الاستعداد لخوض التحدى ..

هكذا ينتهى كل شىء إذن يا عزيزتى (مروة) ، ستة خطابات فى واحدة من أكثر مغامراتى حرجًا ، وفى لحظات هى أكثر أوقات حياتى غربة وغرابة ..

أراك عند عودتى بعد ساعات ؛ إذ يجب أن أعود الآن إلى رفيقة رحلتى (جى جى) التى تنادينى من بعيد ؛ لأشاركها فى اختيار عطر لابنتها (إحسان) من السوق الحرة ..

إلى اللقاء يا عزيزتى ..

وحتى نلتقى ..

صديقتك

نسرين

★ ★ ★

خاتمة يمكنك اعتبارها مقدمة

عزيزتى (نسرين) ..

لا أعلم إن كان هذا الخطاب المختصر سيصلك فى الوقت المناسب ؛ إذ أرسله على عنوانك فى (القاهرة) أم لا ..

أولاً : لأنى لا أعرف عنوانك الذى تقيمين فيه فى الولايات المتحدة ..

ثانيًا : لأنى لا أعرف متى ستعودين..

ثالثًا : لأنى لا أعرف إن كنت الآن بخير أم إن جنونك قد دفعك إلى الحافة هذه المرة ..

أتمنى طبعًا أن تكونى فى أحسن حال ..

أردت فقط يا عزيزتى أن أعبر لك عن امتنانى الشديد لتذكرك إياى وأنت فى رحلتك هناك ، رغم أنك لم تخبرينا قبلها بعزمك على السفر ، وأعتقد أن صديقتنا المشتركة (رحاب) ستأخذ على خاطرها ؛ لأنها لم تعطيك قائمة ببعض المستحضرات التجميلية والملابس التى كان يمكن أن تحضريها لها من هناك ، وقد غضبت منى من قبل عندما سافرت مع عائلتى إلى (إسطنبول) دون أن أخبرها ، رغم أن سفرى جاء مفاجئا مثل سفرك فى الغالب ..

أستطيع تفهم هذه السفرات المفاجئة فلا تقلقى ، عليك فقط أن تكونى حذرة من (رحاب) ؛ لأنها لن تدع موقفًا كهذا يمر بسهولة ..

اسألينى أنا !

أشكرك يا عزيزتى بشدة على المظاريف الأنيقة ، وعلى البطاقات البريدية التى تكلفين نفسك عناء شرائها وعليها معالم (نيويورك) السياحية المختلفة لترسلينها إلى مع كلماتك الرقيقة على الظهر ، تلك الكلمات التى لن أستطيع مجاراتك فيها أبدًا ..

وصلنى منك حتى الآن خمس بطاقات عليها معالم (نيويورك) ، والسادسة وصلتنى قبل قليل وعليها طاحونة هواء هولندية !

هل ذهبت إلى (هولندا) أيضًا؟!

يبدو أنك تقضين إجازة مميزة ، كنت أتمنى فقط لو أرسلت لى مع البطاقات البريدية بخطاب أو أكثر تسردين فيه وقائع رحلتك وما شاهدتيه هناك والمواقف التى حدثت لك ، أعتقد أنك تملكين أسلوبًا مميزًا لو دونت به وقائع الرحلة لكان لدينا كتابًا ممتعًا فى أدب الرحلات ، وربما رواية بوليسية لو كان السيد (س) قد ظهر لك هناك مثلاً ..

سنثرثر كثيرًا حول الرحلة حين تعودين ، ما فى هذا من شك ..

قبل أن أنهى خطابى أود فقط أن أعلق على وجود حرف السين الأحمر فى ركن كل بطاقة ، أعتقد أنك من قام بكتابته هناك يا عزيزتى (نسرين) ، وهو أمر غريب لا أفهمه ..

هل توحدت مع بطلك الغامض حتى أصبح جزءًا من شخصيتك أم ماذا ؟!

أم هل ستخرجين علينا بنظرية عجيبة أخرى من نوعية (أنا - و - السيد - س - لسنا - إلا - شخصًا - واحدًا - فى - النهاية) ؟!

ذكرينى أن نثرثر حول هذه النقطة حين عودتك أيضًا ..

وحتى ذلك الحين أستودعك الله يا عزيزتى ..

وإلى لقاء قريب ..

صديقتك ..

مروة ..

تمت بحمد الله

شخصية غامضة فى مغامرات وأجواء عجيبة

حسناء بروكلين

د. محمد سليمان عبد المالك

مغامرات س

إنه يعرف إذن أننى بعد تماثلى للشفاء من الصدمة قررت أن أمد جسور التواصل مع أبى ، وأن أستغل ميراثى الصغير من أمى لكى أسافر إلى .. (بروكلين) فى خلال يومين ، وقد حجزت التذكرة بالفعل .

يعرف إذن أننى سوف أسافر بصحبة أبى الذى سوف يحضر مؤتمراً طبياً فى (نيويورك) . ثم يقضى هناك بعض الوقت ؛ لينال علاجاً طبيعياً .. على ساقه المصابة ..

يعرف إذن أن أبى لا يعرف بغرض سفرى الحقيقى .. الانتقام ..

الثمن فى مصر ٢٥٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة

الرواية القادمة

البصمة